الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

العنوان:

الفكر الأخلاقي الزراديشتي وتأثيره في الفكر الأخلاقي المعاصر نيتشه نموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

من إعداد الطالبة:
عيجولي زينب

إشراف الدكتور:
بوزبرة عبد السلام

السنة الجامعية: 2017/2016

الإهداء

اهدي أولى ثمراتي إلى والدي الكريمين أول أستاذين لي في الحياة

وإلى إخوتي مفتاح، مسعود وعلي . وإلى أختي وحيدة رزيقة

إلى أعز صديقاتي: **خولة**، كفية، أسمـــاء

إلى كل الأقارب و الأصدقاء

إلى كل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة المسيلة وأخص بالذكر

رئيس القسم د: جلول مقورة و الدكتور: زروخي الدراجي

الدكتور بوزبرة عبد السلام والأستاذة مكجدود ربيعةوالى كل من يعرف زينب عيجولي

شكر وتقدير

إلى الأستاذ المشرف الدكتور بوزبرة عبد السلام الذي ساعدني في انجاز هذا العمل سواء منهجيا او معرفيا، او حتى أخلاقيا فله مني فائق التقدير والشكر، والامتنان

إلى رئيس قسم الفلسفة جلول مقورة والدكتور زروخي الدراجي لتعاملهما الراقي معنا فهما يستحقان منا كل التقدير والاحترام

والى كل أساتذتي الأفاضل في مختلف الأطوار التعليمية من مرحلة التعليم الابتدائي، إلى غاية مرحلة التعليم العالي لما قدموه لي من علم وتوجيهات ساهمت في بناء معارفنا

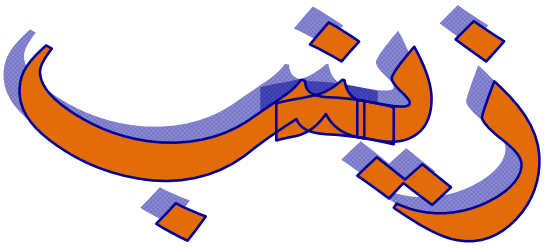

مقدمة

الديانة الزردشتية من أقدم الديانات عبر التاريخ، وتعد من الديانة الأولى التي قامت على أساس التوحيد، والدلالات واضحة حول هذه الديانة التي ظهرت فيما بين العام 1500 و1200 قبل الميلاد في شرق إيران آو جنوب أفغانستان، وقد تدينت الأقوام التي كانت في المناطق المجاورة لظهور الزردشتية جميعها، منها الفرس والهنود، وغيرها من الأقوام في تلك الحقبة. وهي ديانة أسّسها زراد يشت ترى العالم كصراع مستمر بين القوى الكونية المستقلة. وفي معتقدات هذه الديانة فإن أهورامزدا هو رب الخير أو الحكمة وخالق العالم المادي، وأهرمان هو كل الموت وروح الشرّ، وأن الإنسان هو كائن حرّ وعليه واجب مساعدة الانتصار لأهور مازدا. انتشرت هذه الديانة في فارس خصوصًا بعد في القرن السادس قبل الميلاد حيث أصبحت الديانة الرسمية في مملكة فارس حتى ظهور الإسلام في القرن السابع بعد الميلاد

زراد يشت هو من أهم الشخصيّات الدينية والإصلاحية والأخلاقية التي أثرت في مجرى الحياة الروحية والإنسانية والحضارية في العالم. ويشتهر زراد يشت في العالم القديم كرجل الحكمة والمعرفة. ونظر إليه الفلاسفة الإغريق نظرة إجلال وإعجاب ولا يزال بعض الفلاسفة والمفكرين يحترمونه كرجل حكيم قدّم الكثير لخدمة الإنسانية والأخلاق الكريمة في العالم، وامتد تأثيره على الفكر الغربي الحديث مثل الفلسفة الفيورباخية وبعض الفلسفات اللانسقية كالفلسفة النتشوية ومنه يمكن طرح الإشكال التالي ماهي طبيعة الأخلاق الزرادشتية؟ وهل نستطيع القول إن الفكر الأخلاقي النتشوي صورة طبق الأصل عن الفكر الأخلاقي الزراديشتي؟ وان كان كذلك ما هي أهم النقاط التي أخذها نتشه عن زراد يشت؟ وما الجديد الذي أضافه نيتشه؟

ولدراسة هذا الموضوع ومحاولة الاجابة عن الإشكالية التي طرحتها اتبعت المنهج التحليلي لان طبيعة الموضوع تتناسب مع هذا المنهج.

أما فيما يخص البناء الهيكلي لموضوع البحث فقد جاء في ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة توضح المعالم الأساسية للبحث وفي كل فصل ثلاثة مباحث والفصل الأول بعنوان الفكر الأخلاقي الزراديشتي فيه ثلاثة مباحث وعنوان المبحث الأول الأصول التاريخية للزرادشتية وتطرقت فيه إلى الأصول الزرادشتية والإطار ألزماني والمكاني اللذان نشأت فيهما الزرادشتية وأيضا ذكرت فيه الأفكار الأخلاقية والدينية التي كانت سائدة في بلاد فارس والمبحث الثاني بعنوان القانون الأخلاق في الديانة الزرادشتية وإلى أهميته في فرض القوانين والتعاليم التي تنظم حيات الأفراد والمبحث الثلث تطرقت فيه إلى فضل الدين الزراديشتي في تهذيب الأخلاق والفصل الثاني جاء بعنوان الفكر الأخلاقي عند نيتشه وتطرقت فيه إلى منطلقات نيتشه في فلسفته الأخلاقية وهي نقد الدين

المسيحي والأخلاق المسيحية ورفض الميتافيزيقا والمبحث الثاني بعنوان أصل الأخلاق ومنبعها وانتقلت إلى المبحث الثالث بعنوان أخلاق السادة وأخلاق العبيد وهي من أهم أفكار نتشه.

أما الفصل الثالث وتطرقت فيه إلى الأفكار الأساسية التي أخذها نيتشه عن الزرادشتية وهي عناوين المباحث وهي العدمية وإرادة القوة وفكرة العلو.

دواعي اختيار الموضوع ميلي نحو الفكر الأخلاقي بصفة عامة وجذبني هذا الموضوع بصفة خاصة لان فيه نوع من امتداد الافكار والتي حافظة على اصالتها.

الدواعي المعرفية قوة الفكر الزراديشتي وتأثيرها الكبير الذي مارسته على الفلسفة المعاصرة وخاصة في فكر نتشه وتكمن اهمية الموضوع في الاطلاع على افكار زراد يشت وايضا الاطلاع على فلسفة نتشة واتعرف على أبرز النقاط الاساسية المشتركة بينهما.

أهم المصادر والمراجع المستعملة هي:

فريدريك نيتشه، إرادة القوة.

فريدريك نيتشه، اصل الاخلاق وفصلها

- جمشيد يوسف الزرادشتية.
- عبد الرزاق بلعقروز نتشه ومهمة الفلسفة.
- محمد الأندلس نتشه وسياسة الفلسفة.
- فؤاد زكريا نوابغ الفكر الغربي نتشه.
- صفاء عبد السلام على جعفر محاولة جديدة لقراءة نتشه.
- الصعوبات التي واجهتني هي الطابع التأويلي للفكر النتشوي وبعض الأفكار المعقدة والخيالية .

تمهيد:

المجوسية أو الديانة الزرادشتية نسبة لمؤسسها زرادشت ديانة قديمة، تعتبر أقدم الديانات التوحيدية المعروفة في العالم، تأسست منذ أكثر من 3000 سنة فيما يعرف اليوم بدولة إيران.

"الزرادشتية من أكثر المشكلات التي كانت و مازالت وستبقي تثير الأذهان في كل زمان ومكان هي مشكلة الصراع بين الخير والشر. وقد طرأت هذه المشكلة بحدة في أيام زراديشت، ويعده البعض شخصية خرافية، لكن من يؤمن بوجوده من المؤرخين المحدثين، ولم يكتفي زراديشت بصياغة مشكلة الصراع بين الخير والشر، بل لقد حاول أيضا أن يجد لها حلا وقد لقي هذا الحل قبولا عند كثير من المفكرين."[1]

" تعد الديانة الزرادشتية رسالة مركزية عامة مفصلة كبري، قد جاء بها زراديشت لأهل إيران، وقد حوت هذه الديانة التشريعات والأحكام والأخلاق والطقوس والشعائر الدينية والنسك وكان لها كتاب مخطوط في عهد زراديشت، ويعتبر الافستا أو الابستاق، كتاب الزرادشتيين الديني نسبة إلى زراديشت، من أهم الكتب الدينية الفارسية القديمة، ويطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم الافستا ومعناها الأساس أو الأصل أو المتن أو السند. "[2]

يعد زراديشت من أهم الشخصيّات الدينية والإصلاحية والأخلاقية التي كان لها أثر كبير على الحياة الروحية والإنسانية والحضارية في العالم . ويعرف زراديشت في العالم القديم كرجل الحكمة والمعرفة.

"كان زراد يشت رجلا بعيد النظر عميق الفكر، نافذ البصيرة، ماهرا في علم التنجيم، فقد استنكر وثنية شعبه، ونعي عليهم ما انطوت عليه حياتهم الهمجية من فساد خلقي، ووفر في نفسه أن يهب لإصلاح هذا الفساد، ويتنصب نبيا مرشدا يهدي قومه إلى عبادة الواحد الأحد أهورا مازدا الذي **كان يتوسل** به ويتضرع إليه، فهو الم يعبد إلها غيره، يدل على ذلك معني أهورا مازدا نفسه، فانه مركب من ثلاث كلمات هي: "أهو" و "را" و "مزدا" و معناها أنا الوجود الخالق. أي أنا خالق الوجود."[3]

[1] محمد عبد الرحمان مرحبا المرجع في تاريخ الاخلاق، ط1، جروس برس طرابلس، لبنان، 1988، ص225.

[2] جمشيد يوسفي، الزرادشتية ، منشورات زين بيروت لبنان ، ط1 ، 2012، ص50.

[3] محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع في تاريخ الأخلاق، ص 228.

المبحث الأول: الأصول الزرادشتية.

يعتبر الفكر الزراد يشتي من أقدم المنابع الفكرية التي تشبعت منها الفلسفة خصوصا وان لها الاسبقية التاريخية عن الفلسفة اليونانية والتي دائما ما نحبها قد تأثرت بقدر ما من هذا المنبع الفكري او بالأحرى بالمنبع الفلسفي.

الإطار التاريخي:

"كان زارد يشت يقول التقاليد نبي إيران القديمة. عاش في القرنين السابع والسادس ق م وكانت الشعوب الإيرانية منتشرة في إيران الحديثة وأفغانستان فحسب، بل أيضا فيما يسمى بالاتحاد السوفياتي وكانت تشمل أيضا على القريثيين بالإضافة إلى القبائل مثل الغوريين والصفد والبكتيريين. أعلن زراديشت عن ديانته التي قبلتها في النهاية أسرة أوستاب الحاكمة، والتي قضت عليها مباشرة القوة العسكرية لفورش الفارسي".[1]

أكثر من 3500 عام على اعتناق گوشتاسْب ملك إيران عقيدةَ زرادشت؛ وهو يُعتبَر بذلك أول من أسَّس عقيدة الدين وأدخلها إلى بنية الدولة. حتى إن القائدين العسكريين المشهورين في إيران بقوتهما، قورش وداريوش، أدخلا الملايين من الناس في هذه الديانة الزرادشتية، فازدهرت وانتشرت كثيرًا وطويلاً،

الإطار المكاني: الإيرانيون الميديون:

"تشير كلمة فارس إلى الإقليم الجنوبي العربي من بلاد فارس المدعوة باسم إيران، ويقع إلى الشمال منه إقليم ميديا وكان الميديون قريبين جدا من الفرس، ويعتبران من أكبر القبائل الإيرانية الواقعية إلى الغرب، ولذلك كانوا الأكثر معرفة لدى الإغريق وكان الشعب الإيراني نفسه يشكل جزءا من تجمع هو الهنود الإيرانيون ولم يكونوا أنفسهم يشكلون سوي طرفا واحدا من أسرة الشعوب الهندية، الأوربية الضخمة التي تفرعت عنها جميع الشعوب اروبا الحديثة ".[2]

تعد الإمبراطورية الميدية من إحدى الإمبراطوريات العظمى في التاريخ القديم التي أقيمت على أرض كوردستان الحالية ولعبت دوراً كبيراً في نشوء الحضارة الإنسانية في المنطقة التي كانت تُعرف قديماً

[1] – جمشيد يوسفي، الزرادشتية، ص31.

[2] – المرجع نفسه، ص32.

لدى اليونانيين باسم "ميزوبوتاميا" التي كانت تُطلق على الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات. مساحة كوردستان الحالية تقلصت كثيراً، مقارنة بالأراضي التي كانت تُشكّل الإمبراطورية الميدية.

"وكان الفرعان الهندي والإيراني من أسرة الشعوب الهندية، ويسميان أنفسهما باسم أرياس (الآريون) وشكل هؤلاء الأرياس أو الإيرانيون وحدة وطنية واعية لذاتها، على الرغم من اختلافهم باللهجة، وكانوا حريصين على تمييز أنفسهم عن أي شعوب غير إيرانية، وكان الميديون أول الشعوب الإيرانية التي أحدثت ضغطا شديدا على الغرب، حيث كانوا يسكنون في القسم الشمالي الغربي من السهل الإيراني المطل على حوض دجلة والفرات، وعلى بلاد أشور وبابل القديمة وعلى ما هو ألان العراق الحديث."[1]

"وتروي الأقاصيص الفارسية أن نبيا عظيما ظهر في إيرانيا. "موطن الآريين" قبل ظهور المسيح بمئات السنين، وكان شعبه يسميه زارائشرا وقد حملت به أمه حملا إلهيا قدسيا. ذلك لأن ملاك كان يرعاه تسرب إلى نبات الهوما، وانتقل مع عصارته إلى جسم كاهن حين كان يقرب القرابين المقدسة، وفي الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة العظمة السماوية إلى صدر فتاة ذات نسب، وتزوج الكاهن بالفتاة فامتزج الحبيسان الملاك والشعاع فنشأ زرئسترا".[2]

ومعنى هذا أن النبي زارد يشت نبيا مقدسا وعظيما وذلك لأنه عبارة عن امتزاج من قوى إلهية مقدسة، وهو ليس بشرا عادي، وكان حكيما لدرجة كبيرة، وكان يدعو لنشر الخير والصدق والعدالة.

"فلما ولد قهقه عاليا من أول يوم ولد فيه، ففرت من حوله الأرواح الخبيثة التي تجتمع حول كل كائن، وأحب الحكمة فاعتزل الناس وأثار أن يعيش في برية جبلية، وان يكون طعامه الجبن وثمار الرض، وأراد الشيطان أن يغريه ولكنه أخفق، وظل متمسكا بإيمانه بأهوار مرذا (رب النور) الإله الأعظم وتجلى له أهور مازدا ووضع في يديه الأبستاق أي كتاب العلوم والحكمة وأمره أن يعظ الناس بما جاء فيه."[3]

ان زراد يشت كان طاهرا لدرجة انه عند ولادته لم تستطع الارواح الشريرة ان تلمسه بل فرت من المكان الذي يتواجد هو فيه، وكان إيمانه قويا باله النور لدرجة أن كل محاولات الشيطان من اجل أضعاف إيمانه، كانت فاشلة.

---

[1]- المرجع السابق، ص 31.

[2]- ول ديورا نت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء 2، من المجلد 1، (دط)بيروت، ص424.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"وظل العالم كله زمنا طويلا يسخر منه ويضطهده، حتى سمعه أخيرا أميرا إيراني عظيم يدعى قشتسبا او هستسبس، فأعجبه ما سمع، ووعده أن ينشر الدين الجديد بين شعبه، وهكذا ولد الدين الزرادشتي وعمر زرئسرا نفسه طويلا، حتى أحرفه وميض برق (صعد إلى السماء)".[1]

"وكان الفرس قبل زراديشت يعبدون مظاهر الطبيعة والحيوانات والأسلاف وفي القرن السادس قبل الميلاد تطورت العقائد في بلاد فارس فحل إله النور (أهورامازدا) وعرفت من ذلك بالديانة المازدية وامتازت بانعدام التعقيدات فيها وقربها من التجريد الروحاني عن مظاهر العبادة فلا هياكل ولا معابد بل مذبح حجري منصوب في العراء يضرم عليه الكهنة النار وينصرف المتعبدون للصلاة يحتسون مشروبا مسكرا يدعى "هوما"."[2]

كانت الديانة في بلاد فارس قبل مجيء الدين الزراديشتي ديانة وثنية أي تقوم على الجانب المادي فهم يقدسون الظواهر الطبيعية والحيوانات وكانوا يعبدونها لكن بعد مجيء الدين الزراديشتي أصبحوا يؤمنون بالجانب الروحي التجريدي ويؤمنون بوجود إلاه الخير هو أهورامزادا وهو إلاه الكون كله.

"كما دخل الفكر الشرقي في بلاد فارس مؤثرات شرقية من بلاد ما بين النهرين وسوريا القديمة، تمثلت في عبادة الأرواح، فقد ساد الاعتقاد لدى الفرس قبل زراديشت بوجود الأرواح الشريرة وعلى رأسها إله الشر والظلام "أهريمان" والصراع المستمر بينه وبين إله الخير أهور مازدا".[3]

" إن الصراع بين الخير والشر صراع أزلي ومستمر فهو عبار عن محرك للاستمرار

[1] المرجع السابق، ص425.

[2] محمد سليمان حسن –تيارات الفلسفية الشرقية، لدار علاء الدين للنشر، دمشق، 1999، ص16.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في الزرادشتية:

إن المتتبع والدارس للفكر الاخلاقي يجده انه غالبا ماكان ولايزال تحت قالب التنظير كما انه دائما ماكان محصور في هذا الجانب دون سواه حتى إن الدارس للأخلاق دائما ما يخول له انه سيتتبع الاخلاق كمبحث في الفلسفة نظري فقط لكن المتعمق في البحث سيجد بأن الفكر الزراد يشتي كان له الأسبقية والأولوية في إن رسم ملامح الفكر الأخلاقي بواقية وعملية بعيد عن المثالية والتعالي المعهودتان.

إن الأخلاق الزرادشتية أخلاق عملية تطبيقية لها قوانين خاصة بها، وعليه فالخلق له مهمة إصلاح العالم الفاسد بالخير هذا الخلق يتسم بعدة فضائل منها ما هو محبب ومنها ما هو مذموم وأكبر الخطايا الكفر.

الاخلاق الزرادشتية أخلاق عملية تهتم بالواقع فهي تعمل على تعديل العالم الفاسد من خلال فرض قوانين صارمة ويجب على الفرد اتباعها من أجل الوصول إلى السعادة الكاملة ولم تقف الاخلاق على حد النظر، بل سار إلى حد العمل، والفعل الأخلاقي عنده ، فالفعل الأخلاقي في الزراديشتية"لا يقف حد التطبيق، بالقدر الذي هو موجه إلى إصلاح العالم الفاسد عن طريق فعل الخير وأعظم الفضائل عنده، التقوى والشرف والأمانة عملا وقولا، وحرم اخذ الربا من الفرس، لكنه أباحه لغيره، وجعل الوفاء بالدين واجبا مقدسا ورأس الخطايا هو الكفر، إن دعاء الزرادشتية هو "أعمل كي تكون من زمرة الأشخاص الذين يساهمون في سبيل رقي وكمال هذا العالم".[1]

يرى زراديشت أنه على الأفراد العمل على اكتساب صفات أخلاقية وهذه الصفات الأخلاقية الخيرة بطبعها هي الطريق الموصل إلى السعادة، ويرى أيضا بأنه على الأفراد أن يكونوا ذوا فاعلية في المجتمع وأن يعملوا على رقي المجتمع وكماله. وأهم هذه الأخلاق هو الصدق.

"فلدى الزرادشتية الصدق هو الخطوة الأولى نحو أسس الأخلاق الفضيلة، والصدق هو السعادة في العقل، والعقل البشري يصل الكمال بالعلم والمعرفة على طريق البحث في الذات، وان يتحلى بصفات الأخلاق الحميدة من اجل السعادة ورقي العالم، وأن يعمل على بناء مجتمع عادل دون تمييز".[2]

---

[1] المرجع السابق، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص24.

أي أن الصدق هو أساس الأخلاق لأن الصدق يدل على نظافة العقل والروح فالشخص الصادق يمكن أن يتحلى بالصفات الأخلاقية الفاضلة، وبهذا يصل إلى السعادة، ويمكنه الوصول إلى الكمال.

"إن الأخلاق الزرادشتية هي الأخلاق الكاملة، تقول الابستاق: على الإنسان وجبات ثلاثة وهي: "أن يجعل العدو صديقا، وأن يجعل الخبيث طيبا وأن يجعل الجاهل عالما" وأم الفضائل هي التقوى ويأتي بعدها الشرف والأمانة في القول والعمل والوفاء بالدين والواجب المقدس هو على الإنسان أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاة، فإذا ما وهب الفارسي حيات التقي والصدق، كان في وسعه أن يلقي الموت برباطة جاش بلا خوف ولا وجل."[1]

إن الأخلاق الزرادشتية هي أخلاق عامة وكاملة تهتم بجميع جوانب الإنسان الاجتماعية منها وذلك يجعل العدو صديقا من أجل القضاء على العداء بين الأفراد. بهذا تكون الروابط الاجتماعية قوية بينهم وأيضا الجانب النفسي وذلك يجعل الخبيث طيبا وذلك بالعمل على نظافة روحه بالقوانين الأخلاقية وبالتضحية وبالوعظ الديني. وبالجانب العقلي من خلال ووجوب جعل الجاهل عالما وذلك من خلال فرض التعليم على الأفراد.

وبعد هذه الواجبات الثلاثة أعطانا الفضائل بالترتيب كلا حسب أهميتها وأولويتها فمثلا في قوله "أم الفضائل هي التقوى" فهو قد أعطاه صفة الأم فهي أصل الفضائل، فلا يمكن شخص غير تقي أن يكون شريفا وأمينا ضمن التقوى بأن الشرف والأمانة والوفاء. الخ.

"ويتجسد المبدأ الأساسي للعقيدة أيضا في ثلاثة مبادئ وهي: هو ماتاها ختا وهفارشتا أي الفكر الصائب والقول الطيب والعمل الصالح وبالنظر إلى هذه العبارات الثلاث التي هي خلاصة كل أخلاق ومادتها يمكن ترتيب الثلاثية النقضية دوماتا دوزرختا جورخارشتا أي الفكر الفاسد، والقول الفاسد والعمل الفاسد والفردوس ملك كل الأفكار الصائبة والأقوال الطيبة والأفعال الصالحة".[2]

الزرادشتية تعطي مبادئ يجب على الإنسان إتباعها، كي يصبح كاملا وفاضلا، وهي الفكر الصائب أي يجب على الإنسان أن يكون دقيقا في فكره وذكيا في اختياراته وحكيما في أرائه. والقول الطيب أي يجب

[1] محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع في تاريخ الأخلاق، ص233.

[2] جمشيد يوسفي، الزرادشتية، ص93.

عليه أن ليكون فذا غليظا فيكرهه الناس ويبتعدوا عنه، بل يجب أن يكون رحيما ولطيف ولا يجرح الآخرين بإيلامهم، والعمل الصالح ومعني هذا انه على الإنسان القيام بالإعمال الصالحة التي تعود عليه وعلى المجتمع بالخير. الزرادشتية قامة على أساسين وهما.

الأساس الأول:

"إن الأساس الذي قامت عليه هذه الديانة هو مبدأ تعميم الخير وإبادة الشر، وانه من الوسائل الضرورية لتحقيق هذه الغاية هو تقوية النوع البشري ونشر الخصوبة والعمران على سطح الأرض."[1]

إن الخير يعتبر وهو الأساس الأول الذي قامت عليها الزرادشتية، لأنه بداية كل الأعمال الصالحة.

والأساس الثاني.

وهو التوحيد بين الإله مازدا وبين الخير وجعلهما اسمين لمسمي واحد، ومن ثم كان لزراد يشت فضل السبق في هذا المزج الفلسفي والأخلاقي على أفلاطون ونتيجة ذلك أصبح الخير قلب الديانة الزرادشتية وسيعم الكون كله عند ما تسود الفضيلة ويهزم اهريمان إله الشر. [2]

وفي القانون الأخلاقي الزرادشتي مبادئ كثيرة وأهمها:

1-تربية الفضائل المدنية:

"يولي قدماء الزرادشتية أهمية كبرى لممارسة الناشئة واجباتهم المدينة، والجوهري لديهم تقديم هذه التربية إلى لأطفال في مرحلة يكون فيها أقدر على التلقي، بحيث يعمقون اهتمامهم بمصلحة الجماعة، وينشطون في نشر الجمعي بين المواطنين. ويقدم إلينا إكسنوفون (Xenophon) في كتابه (Gyropedie) بالعربية معلومات ثمينة حول المدارس في إيران، حيث تلقن هذه المبادئ، فإنها المرة الأولى التي نجد فيها التربية المدنية في التاريخ العالمي. "[3]

فهُم يهتمون بالأفراد منذ نشأتهم الأولى يربونهم على أخلاق الجماعة وتلقينهم بمبادئ الخير.

---

[1] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر1999، ص35

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] جمشيد يوسفي ، الزرادشتية ، ص95

أ– الاستقامة:

" آشا هو الذي يقوده ويجعله في حضرة أهورا مازدا، وعبارة "آشا" شديدة الشمول في تطلق كلمة آشا (Asha) الأفستية على القداسة أو الاستقامة، وهي فضيلة دينية سامية وهي حقيقة روحية عميقة، وتنسب إلى آشا كل الظواهر الدنيوية، وينبغي لكل إنسان أن يخضع لهذا القانون لأن الأخلاق الزرادشتية فهي تعني النظام. التناظر والترتيب والانسجام كما تحوي كل الأصناف الممكنة للطهارة والأمانة والصدق والصلاح والاستقامة أفضل الهبات وهي السعادة الإلهية وسعيد من يحيا كي يدافع عن الاستقامة الفضلى".[1]

"تعتبر الاستقامة مبدأ أساسي في الأخلاق الزرادشتية فهي المؤدية إلى السعادة الإلهية وبالاستقامة يكون الإنسان أمينا وصادقا وبهذا يكون فردا صالحا في المجتمع قادرا على تكوين أسرة وإنشائها وتكوين أفراد صالحين. ويقول أكسنوفون "يرسل الفرس أبنائهم إلى المدرسة ليتعلموا الاستقامة كما تدور نحن حين نرسلهم ليتعلموا فنون الآداب".[2]

وهذا دليل على ان الفرس كانوا يعطون أهمية كبيرة لتعليم أبنائهم الاستقامة، فبالاستقامة يعرف الفرد واجبه ولا يتعدى على غيره، وذلك من اجل بناء مجتمع خالي من الفوضى. يقول أهور مازدا في هوم ياشت " أن إلى جانب أولئك الذين يقيمون النظام ولست مع الذين يشيعون الفوضى.

"وآشا توجه بالدرجة الأولى إلى طهارة الإنسان وإلى صحة ونضارة البدن، وإلى صحة وقوة الفكر، وتحقيق التعبير الاسمي عن فكرة النظافة القريبة من التقوى، وليست قريبة منها فحسب، لان النظافة إحدى أشكال التقوى".[3]

إن زراديشت يعتبر النظافة شرط أساسي للإنسان، لان النظافة تعطي للإنسان الراحة الجسمية والنفسية، فالنظافة شرط من شروط الإيمان أيضا، لأنه حين ما يبدأ الإنسان في تأدية واجباته الدينية يجب أن يكون نظيفا، حيث يعتبرها زراد يشت مظهر من مظاهر التقوى.

---

[1] جمشيد يوسف، الزرادشتية، ص96.

[2] المرجع نفسه، ص 95.

[3] المرجع نفسه، ص97.

ب – العدالة:

"أول معالم الطريق إلى معرفة الله إنما يكون عن طريق العدالة، والعدالة معناها التخلص من الخطأ عن طريق المعرفة الحقة لكل ما هو صواب، والنور الذي يكشف عن هذه المعرفة إن هو إلا التناسق الأبدي اللاهي، فان تعرف الحق تعرف لله وقد أعلن زراديشت إن رمز العدالة هو ما يسميه الأتقياء للهب المقدس وانه يمكن للإنسان أن يتحد مع لله بإتباع الحق الاسمي وهو قانون العدالة".[1]

إن العدالة هي أول الفضائل، وهي بمثابة الطريق المؤدي إلى لله، الآن الشخص العادل بالضرورة تكون لدية المعرفة الحقيقية. والزراد يشت قد ساوي بين معرفة الحق ومعرفة لله، وأعطي إمكانية اتحاد الإنسان مع لله عن طريق إتباع الحق الاسمي، وذلك لان العادل يشبه لله. ترى الآفستا أن العدالة والإخلاص متماثلان لأنه سيد الإخلاص ليزاتا و"رشنو" المكلف بالعدالة مشتركان دوما معا ويدعو الزراديشتي في صلواته اليومية راشنو بالعبارات الآتية:

"**نسألك الكلام المنطوق بصدق، ونسألك الطاعة العدالة نسألك الاستقامة الشريفة نسألك الكلام الموحى بالقوة والمروءة نسألك السلام الذي يمنح النصر، نسألك الحقيقة التي تنشر الازدهار في العلم، وهي الصفة الأولي لديانة مزدا**".[2]

الزراديشتي دائما يدعو من لله أن ينشر صفات الخير والمحبة والسلام، وذلك من اجل نشر الازدهار الهدوء المحبة في العلم.

"**فحبه إلى لله يتطلب منه أن يعمل من أجل العدالة والوفاق الاجتماعي، وأن يعارض الأعمال المدمرة التي يقوم بها الغزاة من البدو لاعتقاده بأن الحياة الريفية المستقرة هي نموذج للسلام والحق**".[3]

تعتبر العدالة هي الطريق الأول لأنه بالعدالة يتحقق رضي الأفراد في المجتمع بالتالي لا وجود للمظلومين فبالعدالة يتحقق السلام في المجتمع ومنه يتحقق الأمن ويتم القضاء على بذور الشر والفساد في المجتمع.

[1] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، ص35.

[2] جمشيد يوسف الزرادشتية، ص98.

[3] سعيد إسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، القاهرة، 1999، ص245.

ج –التعاون

"التعاون صفة أساسية في الدين الزراديشتي وفي هذا المقام يقول زراديشت إن حياتنا كلها إن هي إلا رحلة جريئة قوم فيها بخدمة بعضنا البعض."[1]

"وفي فلسفة زراديشت نجد قصة تشبه تماما قصة ادم وحواء التي ذكرت في العهد القديم، فقبل أن يتمكن أهورا افردا من صنع الإنسان الكامل خلق رجل وامرأة من طين العادي واسكنهما جنة على الأرض، فلما دخل أول زوج أدمى الجنة حديقة الشرف، فقد أطاعا قوانين الخدمة، وقام كل منهما بخدمة الأخر كما خدما أبنائهما وأبناء أبنائهما، وما إن توفي الزوجان الأولان حتى دب الخلاف بين ذرتهما فنسو قانون التعاون وانغمسوا في الشر، لذا انزل أهورا عليهم طوفان من الجليد أفناهم جميعا فيما عدا قله كانت متعاونة."[2]

إن التعاون صفة يجب أن تنتشر بين افرد المجتمع، فهو الوسيلة الوحيدة والتي ستطيع بها الأفراد تشكيل قوة من اجل التغلب على مشقة وصعوبة الحياة، وبالتعاون يحدث التماسك في المجتمع.

د –العفة:

"ويمكن تعريف التعفف بأنه تعديل الرغبة في اللذة فهو يفيد الاعتدال، وقد لا يهدا لنا لسان أو قد نكمم أفواهنا، كل تلك أشكال من الإغراق والتطرف فهي لذلك أشكال من قلة الاعتدال، وعليه يجب الإقلاع عنها وعلى ذلك فالتعفف اسم أخر لضبط النفس وهو القدرة على الكف أو القدرة على كبح جماح الهوى."[3]

إن العفة هي صفة أساسية يجب أن يتحلى بها الكانسان، وبها يحقق التوازن والاعتدال النفسي. وهذه من العفة مثل ما قال بها أرسطو هي الاعتدال والتوسط بين الفجر وعديم الإحساس أي تتوسط بين الإفراد والتفريط.

[1] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، ص37.

[2] المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

[3] ي دني، أصول الأخلاق، تر، إبراهيم رمزي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012، ص50.

إن الديانة الزرادشتية تقدس الحياة الزوجية وهي تطلب من الزوج والزوجة على السواء الإخلاص لروح الخير، وارقي أشكال الأمانة، إن العمل الشائن لا يقوم به الزوج فقانون الأخلاق الزرادشتية يجعل كلا الجنسين على مستوى واحد بحيث لا نجد له مثلا في تاريخ الشعوب الأسيوية.

"**ويقول زراد يشت للمرأة "المرأة العادلة الغنية بأفكارها الصائبة وأفعالها الصالحة المهذبة المطيعة لزوجها العفة مثل الفاضلة"، وهي شبيه بإليزاتا أم النساء.** ".[1]

إن قانون الأخلاق الزراديشتي يفرض فضيلة العفة على الرجل والمرأة على حد سواء، لأن لهما نفس المكانة والأهمية في تكوين الأسرة، ولأنه إذا لم تكن المرأة عفيفة هذا يؤدي إلى فساد الأسرة، وكذلك أيضا تؤثر عفة الرجل على مدى قوة الترابط داخل الأسرة.

هـ –الاعتماد على الذات:

يقول زراديشت "**الكسل ذو اليدين الطويلتين الذي ينوم العالم المادي كله ويهجم عليكم منذ أن يطلع النهار، ويستيقظ البشر لها الناس لا يليق بكم أن إن الزرادشتية كديانة عملية تصر خاصة على المبادرة وعلى الجهد وكرامة العمل، لاستقل المرء إلا إذا اعتمد على ذاته، ويقول "أنهضوا أيها الناس وامدحوا بمديح النقاء الأسمى واصرعوا الديفا ولا يليق بكم ان تناموا طويلا".**[2]

الديانة الزرادشتية تحث الأفراد على العمل والنشاط وتحارب الكسل الذي يجلب الذل والمهانة، وتطلب من الإنسان أن يعتمد على ذاته، لأن الإعتماد على ذات وبالعمل يحقق الإنسان ذاته ويحفظ كرامته ويكون حرا، ويصبح فردا فعالا في المجتمع، ومنه فالدين الزراديشتي يذم الأفراد الكسالى والذين لا يعتمدون على ذاتهم لأنهم عالي على غيرهم وعلى المجتمع.

و –الإحسان:

[1] نقلا عن ،جمشيد يوسف، الزرادشتية، ص99.

[2] نقل عن ،المرجع نفسه، ص100.

"المراد بالإحسان ميل الإنسان إلى أن يفعل للناس خيرا أو يضن بهم خيرا ومعناه مراعاة مسرات الآخرين ومساعدتهم والإحسان عند النفعيين هو المبدأ الوحيد الذي يجب أن يكون له أثر في كل فعل من أفعال الإنسان"[1]

إن الإحسان صفة حميدة يجب على الأفراد التحلي بها، وأيضا يجب على المعلمين في بلاد فارس تربية الأطفال عليها، فهي فضيلة تقضي على الشر في النفس وتعمل على نشر المحبة والتعاون بين الناس. ويشغل الإحسان رأس قائمة الفضائل الايجابية التي ينبغي على أتباع زراديشت أن يراعوها. وهي إحدى الوصايا الرئيسية لهذه الديانة، إن الذي يساعد الفقير يعترف بملكوت الرب (أهو نافار) ويسألون مازدا قائلين يامازدا؟ ما ملكوتك؟ وما إرادتك لكي تعمل وفقها للوصل إلى صداقتك؟ فيجيب أهور مازدا:

يقول زراديشت" **تكتسب صداقتي بمساعدتك إخوانك الفقراء الذين يعيشون عاديين مع روح الخيرة**".[2]

إن الإله مازدا يأمر أتباعه بالإحسان فهو يحب المحسنين لأن الفرد المحسن في نظره يعترف بملكوت الإله مازدا فهو يحثهم على التعاون ومساعدة بعضهم البعض وذلك من أجل نشر روح الأخوة بينهم والقضاء على الفقر وبالتالي فالمعنى السخي يكون صديقا للإله.

حيث يقول زراديشت "**إن الذي لا يملك حس الإحسان تتكاثر عليه المصائب فالتآخي الزراديشتي لا يترك أدنى مجال للنزعة الأنانية الدنيئة. ولا يتقبل الرب صلوات أولئك الناس ولا قرابينهم ويقول الرب الكلي القدرة في الآبان ياشت إني لا أتقبل قرابين الأشرار، ومن في قلوبهم قسوة والأناني والأنانيين**". [3]

ي- الحث على التعليم:

[1] نقلا عن ،ي دني، أصول الأخلاق، ص45.

[2] نقلا عن جمشيد يوسف، الزرادشتية، ص103.

[3] نقلا عن ،المرجع نفسه، ص104.

"لا يقتصر الإحسان على مواساة البؤس فقط وتلبية المطالب المادية للمعوزين المحبطين بنا، بل يهتم كذلك بتلبية احتياجاتهم الفكرية والأخلاقية والروحية وتؤكد الكتب الدينية للبارثين، على واجب تيسير وسائل التعلم لكل الرجال والنساء، متزوجين وعازبين أتقياء وأشرار، وان أحسن أعمال الخير مساعدة من يفتقر إلى التعلم. "[1]

إن الإحسان يدخل في جميع النواحي المادية وأيضا الروحية والأخلاقية فزراد يشت يحثهم على الإحسان الروحي مثلما يحثهم على الإحسان المادي وذلك بمساعدة الرجال والنساء وجميع أفراد المجتمع عن طريق تعليمهم. "ويقول زراديشت "**إذا جاء الناس إليكم إخوانا في الدين أو أشقاء هم أصدقاء باحثين عن المعرفة فينبغي أن تقدموها لهم بأطيب الكلام**".[2]

ومعنى هذا القول هو أن الناس يجب أن يكونوا متآخين في الدين وأصدقاء ويجب أيضا على الفرد المتعلم أو العالم ألا يرد من يأتي إليه طالبا للمساعدة في التعلم ويجب أن يعلمه بلطف وبدون تكبر. وقانون الأخلاق يدور كله حول القاعدة الذهبية وهي أن حد الطبيعة لا تكون خيرة إلا إذا منعت صاحبها أن يفعل بغيره ما ليس خيرا له هو نفسه.

أي أنه على الشخص أن يعرف ما يحدث في نفسه إساءة وضرر فلا يفعله بالآخرين وأن يعرف ما هو خير له ويحدث في نفسه فرحا وسرورا فيفعله للآخرين وهذا أيضا وارد في الدين الإسلامي حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

المبحث الثالث: فضل الدين الزاد يشتي في تهذيب الأخلاق:

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] نقلا عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يعتبر الدين الزراديشتي المصدر الأساسي لكل الأخلاق والفضائل التي يجب على الفرد إتباعها.

"إن مولد زراديشت كان بداية الحقبة العالمية من طورها ثلاثة آلاف سنة، وبعد أن يخرج من صلبه في فترات مختلفة ثلاثة من النبيين ينشرون تعاليمه في أطراف العالم يحل يوم الحساب الآخر، وتقوم مملكة أهور مزدا، ويهلك أهرمان هو وجميع قوى الشر هلاكا لا قيام لما بعده، يومئذ تبدأ الأرواح الطيبة جميعها حياة جديدة وعالم خال من الشرور والظلام والآلام فيبعث الموتى، وتعود الحياة إلى الأجسام، وترتد فيها الأنفاس ويخلو العلم المادي كله إلى ابد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال".[1]

إن الصراع بين الخير والشر صراع أزلي، ودائما في النهاية ينتصر الخير على الشر فيخلو العلم من كل الشرور، وحسب زراديشت حتى الأرواح تعود إلى الأجسام ولا تموت بعدها، ويحصل الانسان على عالم كامل مثل عالم الملائكة تنتشر فيه المحبة والتعاون ولا وجود للكره فيه.

"إن الدين الزراديشتي كان دين توحيد حرم الشرك بالله وعبادة الأصنام حيث يقول لا ليس هناك قوى روحية كثيرة للخير ولا عفاريت كثيرة للشر إنما هو إله واحد اسمهم أهور مزادا الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد الأحد القدوس الصمد وهو الحق والنور وهو الحكيم القادر الذي لا يشاركه في ملكه وربوبيته شيء وإن القوى الروحية التي عزموها خالقة للخير ليست بخلقه بل هي نفسها من خلق أهورامزدا".[2]

أن الدين الزراديشتي يقوم على ثنائية بين الإلهين أهورمازدا إله الخير. إله الرحمة والحكمة والخالق لكل شيء حسن في العالم، وإله الشر أهريمان الإله الباطل رب الخراب والشرّ، واقف بالمرصاد لكل الأعمال الخيّرة التي يقوم بها أهورامازدا. وصراعه مع الخير والنور هو صراع الموت مع الحياة. والحكيم هو من يختار الأحسن، ولكن الأحمق يختار الأسوأ. وهو ما دوما في صراع إلا أنه في الأخير ينتصر إله الخير فهو الإله الأول وخالق كل شيء فهو الذي خلق أهرمان أيضا. وأيضا في هذا القول صفات الإله أهورامازدا فهو يتحلى بصفات لا يتحلى بها أحد غيره وكل هذه الصفات تدل على التوحيد.

"إن من أغراض الدين واجب تذليل الصغار على يد الكبار، فإن من حق الكهنة الزرادشتيين أن نقر لهم بما كانوا عليه من مهارة في وضع قواعد الدين، وإذا ما نظرنا إلى هذا الدين في مجموعة وجدناه دينا رائعا

[1] ول ديورنت، قصة الحضارة، ص435.

[2] سعيد إسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، ص253.

أقل وحشية ونزعة حربية داخل وثنية وتحريفا من الأديان المعاصرة له وكان خليقا بالا يقضي عليه هذا القضاء العاجل".[1]

فالـــــدين الزراديشـــــتي يـــــدعو إلى التعـــــاون والإخـــــاء والإحســـــان والاهتمـــــام بالتعليم، ويدعو أيضا إلى الابتعاد عن الحروب وكل شيء يسبب العداوة، وأقل وتحريفا لان زراديشت احتفظ بالكتاب كما هو ولم يحاول تحريفه، واقل وثنية لأنه يعبد إله واحد وهو أهورمازدا.

"أولو الزرادشتيين للنار قدسية كرمز للطهر والسمو الرباني وأمروا أتباعهم على الاحتفاظ بها متقدة مضطربة بالمعنى الرمزي والروحاني بعد أن أوكلوا هذه المهمة للكهنة حيث يأتون خمس مرات في اليوم ليوقدوها من خشب الصندل أو غير من المواد العطرية".[2]

لأن النار والشمس هما رمزا المجوسية، ولذلك فإن النار مقدسة لكونها تمثيل عن نور أو الحكمة أهورامزدا لذلك يحرص الزراديشتيون على ألا تنطفئ في معابدهم. وكانت تصرّ على الاحتفاظ بشعلة النار الموقدة منذ أيام نبيّها. وتحاول إبقاء نارها مشتعلة كصورة حيّة من صور الله الواحد الأحد.

"إن بني الإنسان حسب تعاليم زراد يشت ليسوا مجرد بيادق تتحرك بغير إرادتها في هذه الحرب، بل إن لهم إرادة حرة، لان هورامازدا، كان يريدهم شخصيات تتمتع بكامل حقوقها، وفي مقدورهم أن يختاروا طريق النور أو طريق الكذب، فقد كان اهرمان هو الكذبة المخلدة، وكان كل كذاب خادما له."[3]

إن أهورامازدا خلق الإنسان وأعطي له مجموعة من القوانين، التي تجعل حياته أفضل، لكنه في نفس الوقت خلق إله الشر أهريمان وأتباعه الشياطين، وترك الإنسان حرية الاختيار، إما أن يختار طريق الصدق والخير ويتحصل على الخير والنجاح في الدنيا وفي الآخرة، ا وان يختار طريق الكذب فيعش في الدنيا ذليلا في الدنيا ويعاقب على افعله في الآخرة.

"ولزراد يشت كتاب مقدس **"الفستا"** وهو مجموعة مؤلفة من خمسة أجزاء مستقلة يختلف تاريخ تدوينها وأقدمها يرجع إلى زراديشت نفسه الذي يشتمل على تعاليمه التي جمعها تلاميذه من بعده، وهو

---

[1] ول ديورنت، قصة الحضارة، ص 435.

[2] عبد الرزاق رحيو صلال الموحى، العبادات في الديانات القديمة، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، (دط) 2007، ص53.

[3] ول ديورانت، قصة الحضارة، ص431.

مكون من إحدى وعشرين نسكا أي كتابا لم يصل إلينا منها سوى كتاب واحد هو الفنديداد) ومعناه مخالفة الشيطان وفيه أبحاث عن خلق العالم وقواعد التطهير".[1]

"ولكتاب الأفستا شرح يسمى "زندافسا" أما كتاب الفسبراد فهو خاص بالمراسيم الدينية وترتيبها، ويتألف من أربع وعشرين فصلا ولهم كتاب في الأدعية يمسي ألسنا، يقرا عند تقديم القرابين".[2]

هذا الكتاب خاص بالموتى، فهو يشرح لهم كل الطقوس التي يجب إتباعها أثناء دفن الميت.

"وفي كتاب الزراديشتيين المقدس فقرات طويلة مملة خصت كلها بشرح القواعد، الواجب إتباعها لطهارة الجسد والروح، وقد جاء فيها أن قلامة الأظافر وقصاصات الشعر وإخراج النفس من الفم كلها أقذر يجب على الفارسي العاقل أن يتجنبها إلا إذا كانت قد طهرت من قبل".[3]

فالديانة الزرادشتية تحرص دوما على إعطاء تعليمها بصرامة وخاصة في جانب الطهارة سواء كانت طهارة روحية مثل الصدق والتقوى والأمانة أو طهارة جسدية مثل نظافة البدن والهندام.

"وكذلك كانت الشرائع الفارسية صارمة في عقاب خطايا الجسد صرامة الشرائع اليهودية، فكان الاستمناء باليد يعاقب عليه بالجلد وكان عقاب من مرتكب جريمة الزاني واللواط والسحاق من الرجال والنساء "أن يقتلوا لأنهم أحق بالقتل من الأفاعي الزاحفة والذئاب العاوية ".[4]

إن الشرائع الفارسية صارمة جدا وذلك بفرض العقوبة على كل من يرتكب هذه الفواحش بل إنها تعتبر من الكبائر التي يجب القل على الذي يرتكبها لأن هذه الفواحش لها آثار سلبية على صحة الفرد وعلى عرضه وشرفه وأيضا لها آثار سلبية على المجتمع وذلك بعدم حفظ النسل أي اختلاط الأنساب وبذلك تفسد الروابط الاجتماعية.

"لم يكن القانون يشجع البنات على ان يظللن هذاري ولا العزاب على أن يبقوا بلا زواج ولكنه كان يبيح التسري وتعدد الزوجات، ذلك لأن المجتمعات الحربية في حاجة ماسة إلى كثرة الأبناء ففي ذلك تقول

---

[1] عبد الرزاق ريحو صلال الموحي، العبادات في الديانة القديمة، ص 54.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ول وايل ديورنت، قصة الحضارة، ص440.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأبستاق: "إن الرجل الذي له زوجة يفضل كثيرا على من لا زوجة له والرجل الذي يعول أسرة يفضل كثيرا من لا أسرة له والذي له أبناء يفضل كثيرا من لا أبناء له والرجل ذو أثراء أفضل كثيرا ممن لا ثروة له".[1]

وهذه معايير هامة في المجتمع الزراديشتي خاصا وشائعة بين مختلف الأمم بصفة عامة وكانت الأسرة لديهم أقدس النظم الاجتماعية لأن الأسرة الصالحة تصنع أفراد صالحين في المجتمع وبالتالي يكون مجتمعا صالحا وهذه هي غاية الدين الزراديشتي.

"والمنهج الأخلاقي عند الفرس يمكن إيجازه أكثر وضوحا عن أحد النصوص البهلوية المسمى (زاد سبارام) حيث يتألف من قسمين أحدهما يتناول الميول في حين يتناول القسم الآخر التحذيرات والعطاف.

القسم الأول الذي يشتمل على الميول وعددها خمس فإنها تحدد قواعد السلوك الشعائري والسلوك الصحيح في العمل أما القسم الثاني المتعلق بالتحذيرات والعطاف. فمنها عشرة يمكن أن يطبقها الجميع وتتلخص فيما يلي".[2]

1– الحفاظ على ما يسمى بحسن السمعة حتى يمكن أن تفوز بالاحترام ليس فقط لنفسك بل أيضا لأساتذتك ومن يرعاك.

2– أن تتجنب لنفس الأسباب اكتساب أي عنصر من عناصر سوء السمعة.

3– ألا تضرب أستاذك وتضايقه بتكرار ما نهاك عنه.

4– أن تتقبل أحسن تعليمات أستاذك في خضوع كما لو كانت فرضا لا على أنها هدية.

5– أن نلاحظ أن قانون عقاب المسيء ومكافأة الصالح مراعى فيه صالح التقدم.

6– أن تحرص على أن تكون دارك كعبة لكل الأشخاص الصالحين المحبين للأنام.

7– أن نعترف علانية بالخطايا التي ارتكبتها إذ بتخلصك مما هو شر يبقى عقلك صاحيا.

8– أن تتجنب كل الظروف التي تجعلك تتردى في الخطايا.

---

[1] المرجع السابق، ص440.

[2] حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة، ص40.

9– أن تعمل أقصى مما يمكن عمله لنشر العقيدة الحق وأن تساعد على استردادها لتعوزها لو تعرضت لنكسات.

10– أن تقدم الاحترام اللائق لكافة أفراد الهيئة الكهنوتية ويتضح من هذه القائمة من التحذيرات أنه يجب على الفرد أن يكون ورعا نقيا مطيعا لكل من معلمه وكاهنه وأن يكون قدوة للجميع.[1]

ومن خلال هذه الأوامر والنواهي والتعاليم التي تشمل الأفعال المستحسنة والأفعال المستهجنة تكمن أهمية ودور الفرض الزراديشتي تهذيب الأخلاق.

" من جهاد يشترك فيه الدم الإنسان ضد الشيطان إلى مؤامرة يشترك فيها الشيطان مع الإنسان ضد الله. ورغم ذلك كله فإن زراديشت في هذه أراء عن الأخلاق وقد تقبلها كثير من الفلاسفة القدامى والمحدثين ولم يثر جدلا في صحتها إلا القليلون ورغم ذلك فلو يجدوني الآن حلا لما أثاروه من جدل هذا وقد قلب نيته عقيدة زراد يشت في نظر الكثيرين كان أحد المعلمين العظام الأوائل للجنس البشري."[2]

الزرادشتية تحث الإنسان على التمسك بالفكر الصادق والقول الصادق والعمل الصالح للوصول إلى ذاته وليضمن سعادته فالإنسان كائن حر وعليه إطاعة الإله الواحد، كما أن الزرادشتية تحرم الرهبانية بكل أنواعها.

وقد دعا الله) أهورامزدا) الإنسان إلى أن يعمل الخير دون أن ينتظر الجزاء، فالخير يحمل جزاؤه في نفسه. ولذلك على الإنسان أن يستأصل عامل الشر من نفسه، ويُنمّي بذرة الخير فيه، لأن الخالق جعل له عقلاً وبيّن له طرق الشر، وأمره بمقاومته، بكل الوسائل ولا سيّما عن طريق العقل الذي أعطاه إياه أهورامزدا .وكذلك بالنسبة إلى الضمير الذي أودعه فيه وطرق الهداية والصلاح في الكتاب(آفيستا)، الذي أنزله عليه.

وفي الأخير يمكن ان نستنتج ان عقائد الديانة الزراديشتية كانت غايتها الأولى والأخيرة :خلق مجتمع عادل ومتسامح وبعيد عن الشر. وتختصر الأخلاقيات الزرادشتية في ستة وصايا تقوم عليها الديانة وهي: 1 ـ طهارة الفكر والكلمة والعمل. 2 ـالنظافة والابتعاد عن النجاسات. 3 ـ ممارسة الرحمة والإحسانات المختلفة. 4 ـالرفق بالحيوانات النافعة والأليفة. 5 ـ القيام بالأفعال الخيّرة والنافعة. 6 ـ نشر التعليم بين الناس من دون تمييز.

[1] المرجع السابق، ص41.

[2] المرجع نفسه، ص42.

تمهيد

"ولد فريدريك نيتشه عام 1844م وهذا هو العام الذي وصلت فيه الفلسفة الهيجلية أوج تمزقها، وأوج ابتعاد الفكر عن الواقع، وأج تغلغل الفلسفة تشاؤمية إلى أعماق الروح التي لتجد لها سند في الواقع."[1]

"كانت جهود نيتشه منصبة على تحطيم المسلمات، والقوالب الفكرية التي هيمنت على العقل البشري منذ أن بدا تسلط الضعفاء على الأقوياء، وعلى أساس هذا التسلط الذي تم بالحيلة جرت صياغة التاريخ البشري الذي وصل الآن إلى خاتمة المطاف منتحرا بقيمه. ولم يدر في خلده أن يقدم أي عون، من أجل ترميم بنيان حضارة أصبحت ناضجة للزوال، كي يبزغ فجر حضارة أكثر جدارة بالإنسان المعافى الذي تبنيه قيم الصحة والقوة بدلا من المرض والضعف."[2]

سعى نيتشه إلى تبيان أخطار القيم السائدة عبر الكشف عن آليات عملها عبر التاريخ، كالأخلاق السائدة، والضمير. يعد نيتشه أول من درس الأخلاق دراسة تاريخية مفصلة. قدم نيتشه تصوراً مهماً عن تشكل الوعي والضمير، فضلاً عن إشكالية الموت. كان نيتشه رافضاً للتمييز العنصري ومعاداة السامية والأديان ولاسيما المسيحية لكنه رفض أيضاً المساواة بشكلها الاشتراكي أو الليبرالي بصورة عامة.

[1] فؤاد زكريا، نوابغ الفكر الغربي نيتشه، ط 2، دار المعارف، مصر، ص8.

[2] رودولف شتاينر، نيتشه مكافحا ضد عصره، تر: حسن صقر، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا،1998، ص34.

المبحث الأول: نقد الدين والأخلاق المسيحية.

الديانة المسيحية ديانة مرنة كونها ليست شريعة ولكن على الرغم من هذا تعتبر عقبة تحول امام تقدم واربا والدليل على ذلك محاكمة غاليليو والعنف الديني في واربا ولم يبدا عصر النهضة في واربا الا بعد تدهور وضعف المسيحية.

"لقد انطلق نيتشه من نقد الأخلاق والدين المسيحي، باعتباره أساس للأخلاق التي استعملها اللاهوتيين كوسيلة لسيطرة واستغلال الأفراد، : "إما اليهودية فقد رأى نيتشه سيطرة إرادة القوة لديهم على الآخرين بالمسكنة الأخلاقية، وتضخم وخز الضمير عن الناس".[1]

فالمسكنة الأخلاقية التي تصيب الأفراد من خلال إتباعهم للأخلاق التي جاء بها الدين المسيحي، تصيبهم دائما بتأنيب الضمير عند محاولتهم تجاوز هذه الأخلاق أو التحرر منها. وفي هذا الصدد يقول نيتشه.

"هكذا توضع الحرية الإنسانية بين سيطرة قيدي الدولة، وبين سلطة الأخلاق اليهودية التي فرضت نفسها على كل الغرب من، خلال الثورة التي يقرها المسيحيون، لان أصل كل الفكر الأخلاقي الغربي مؤمنا كان أم ملحدا، حتى بعد فصل الدين عن الدولة أفلوطيني يهودي، وهذا ما أراد نيتشه أن ينفذ منه أوربا وكل الغرب في تحوله عن العظمة الانتهازية".[2]

من هنا تصبح الحرية الإنسانية مقيدة من جانبين، من الجانب السياسي وذلك بسبب رجال السياسة الذين دائما يعملون على فرض سيطرتهم ونفوذهم، من أجل الحفاظ على مكانتهم، وأيضا من أجل اكتساب المزيد من النفوذ. ومن الجانب الديني، وهو الجانب الذي يحركه رجال الدين والكهنة، وهو 2أيضا يعتبر جانب روحي يعمل على تقييد الإنسان روحيا ونفسيا تحت غطاء أخلاقي.

فمن خلال الدين اليهودي والأخلاق التي جاء بها، أصبحت كل الإبداعات والشجاعة والتطورات الحرة مقيدة، من طرف الأخلاق والمنفعة "**إن الانتقاء الطبيعي مطلب إرادة القوة" والذي مارسته**

[1] هاني يحي نصري، دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع –بيروت – 2002، ص279.

[2] المرجع نفسه، ص273.

اليهودية، من خلال أخلاق الضعف والذل والمسكنة ليضربوا ضمير الأقوياء، بما ضربوا وباؤوا من ذل ومسكنة فيسخروهم لهم، من خلال الأخلاق المسيحية بما أشاعوه عهد الله القديم لهم كشعب مختار".[1]

ومن خلال الوعود الأخروية، تم وصف البطولات والتطورات والمثابرات، وانجازات الأبطال وإبداعاتهم وخروجهم عن المألوف، بأنها رذائل ويحاسب فاعلها، وفرضت عليهم الطاعة وتطويق الحريات الإنسانية. "اليهودية بناء على هذا إرادة قوة شوهاء، أرادت الاختباء وراء الضمير والأخلاق تحت مظلة أسطورية سمتها دينا، تعيق كل إنسان عن أن يحيا حياته بكل زخمها، حين يقول نعم لهذه الحياة التي لا عود برأي نيتشه إلا لها وحدها إذا كان ثمة عود".[2]

إن المسيحية هي الشفقة "**عند الإشفاق نضيع القوة... وعبر الشفقة يتنامى ويولد أكثر فأكثر خسران القوة التي بها تكون الحياة محتملة الاحتمال نفسه يصاب بالعدوى الممرضة من الشفقة".**[3]

فحينما نشعر بالشفقة يحدث في داخلنا ضعفا شديدا. فهو حالة نفسية تنقص من قوة الإنسان وتجعله جبان في مواجهة صعوبات الحياة ومن ثمة تكون الحياة بالنسبة للفرد صعبة وشاقة لأنه فقد الشجاعة والقوة التي تعطيه دافعا للحياة.

يقول نيتشه "**تدعي المسيحية إنها دين الشفقة والرحمة، ومع ذلك فالشفقة تأثيرها الكئيب على الإنسان، إذ أنها تفقده قواه فتسري فيه المعاناة كالوباء، وتؤدى أحيانا إلى افتقاد الحياة والطاقة بصورة جماعية، كما أنها تحبط مساعي قانون التطور أو الانتخاب الطبيعي، لأنها تدافع عن الحياة المحرومة الحقيرة لصالح الأنواع العليلة التي تسعي للحفاظ على حياتها وهي بدالك تضفي على الحياة مظهرا كئيبا مريبا".**[4]

إن الشفقة عاطفة إذ سيطرت على الإنسان صار ضعيفا مستسلما، ويعتبرها نيتشه عائقا أمامه لأنها تمنعه من تحقيق التفوق والانتصار، فهو ليستطيع الانتصار على ذاته فكيف ينتصر على الآخرين

---

[1] المرجع السابق، ص274.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] فريدريك نيتشه، عدو المسيح: تر: جورج ميخائيل ديب، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ص31.

[4] نقلا عن ،صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، 2001، ص340.

فهي عبارة عن مرض واعتلال تنادي به المسيحية. "**فالشفقة هي ممارسة العدمية، إنها بمقدار ما تكاثر البؤس كونها حامية للبؤساء، فإنها أداة أساسية في تضخيم الانحطاط الشفقة تقود إلى اللاشيء**".[1]

ويبدأ نيتشه أولا من خلال كتابة "عدو المسيح" بتحديد المعايير التي تؤول بها الأديان حيث يقول. "فالمسيحية وفق منظور نيتشه حلقه من حلقات التراتب العدمي، الذي يتصور المحسوس الأرضي والجسد على ضوء الأفكار وعلى ضوء علم قوى العالم الأرضي، أي أنها تقيم نظام تراتب في الوجود يحتل فيه العالم المعيش بآلامه وتجاربه الحياتية مرتبة أدنى "إنها الديانة التي تناقض الطبيعة، وهي مظلة الفلسفة الأوروبية التي يجرى في عروقها حسبما يرى نيتشه دم اللاهوتيين".[2]

ونلاحظ قوة تضليل الدين المسيحي لغرائز الإنسان الأوربي، من خلال فرضها قيم أخلاقية تتعارض مع الطبيعة الإنسانية. إن الدين المسيحي من خلال الأخلاق التي فرضها على الإنسان قام بتجميد الملكة العقلية، وأيضا حط من قيمة العلم ورآهما قوى مؤذية، لأنه من خلال العقل والعلم نخرج عن الأخلاق التي فرضها الدين المسيحي، "**المثالي على ذات المساواة مع الكاهن يملك في يده كل المفاهيم الكبيرة ويتنازل ليوجه، باحتقار الملكة العقلية "ذو الرفعة" والعلم ويراها قوى مؤذية.**"[3]

"**كما لو أن الطاعة والعفة والفقر وبكلمة واحدة القداسة لم تتسبب إزاء الحياة في الآن بأضرار تفوق أن تحصر أكثر من أي رعب ورذيلة**".[4]

فالأخلاق المسيحية أخلاق الضعف والاستسلام والطاعة والخضوع.

"الإيمان بما هو فاضل شكل من أشكال النفاق، وإذا كان الناس يقولون "الفضيلة ضرورية" فإنهم يقولون عادة "الشرطة ضرورية" لأن ما يتطلعون إليه هو مجتمع هادئ، ومنظم آمن حيث يجدون من يراعهم جيدا. بل أكثر من ذلك يتوقعون مكافأة من الله لأنهم كانوا فضلاء فهل ذلك حب للفضيلة؟".[5]

---

[1] المرجع السابق، ص33.

[2] عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ص105.

[3] فريدريك نيتشه، عدو المسيح ، ص35.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[5] لورانس جين كيتي شين، أقدم لك نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص80.

معنى هذا أنهم حتى وإن كانوا فضلاء فهم لم يتبنوا الفضيلة من أجل أنها فضيلة بل لأنها وسيلة تحقيق غاية وهي المكافأة الإلهية، وتنشأ الفضيلة من الشفقة التي تقتضي أن نغمض أعيننا عن كل ما يقابلنا، حتى لا نعاني من رؤية الباطل الذي يمكن تصحيحه، انطلاقا من هذه النظرية الشائعة تنشأ أخلاقية الفضيلة.

إن الأخلاق المسيحية والدين المسيحي بعيدان كل البعد عن الواقع فهما متعاليان مثاليان "**الإيمان يقاوم وليس يمسك بالسيف**".[1]

"ما هي الأخلاق: "إنها كل طغيان شرقي ضد الطبيعة والعقل، إنها مشكلة الصلة بين ما تعرف وما تؤمن به، ولأن كل شيء ينشد السيطرة على كل شيء، فمن الغباء أن نقع تحت السيطرة وتترك نفسك ضحية لها".[2]

ونيتشه يعيب على الأخلاق المسيحية أنها قيدت حرية الإنسان التي بها يحدد مصيره وحدة من أفكاره محاولاته لتجاوز ذاته. يقول نيتشه "**إن فكرة الماورائي تعبر عن إنكار الحقيقة من كل نوع كما يعد الصليب إشارة الالتفاف حول مؤامرة من اشد المؤامرات التواء مؤامرة على الصحة والجمال والاستقامة والشجاعة والعقل وجمال النفس وسلامة البنية وعلى الحياة ذاتها أريد أن اسطر على جميع الجدران هذا الاتهام الأزلي ضد المسيحية إنني أدعو المسيحية الكارثة الكبرى الوحيدة والإفساد الداخلي الكبير والغريزة الكبرى الحاقدة الوحيدة التي لتجد وسيلة تكفي سمها والتواءها**"3

إن نيتشه ينتقد كل الفلسفات المثلية، لأنها الم تستطع الخروج عن المثال ا لزهدي، ولأنها بصفة عامة ظلت حبيسة مبدئه التمثل في الماوراء. وهذا ما يبرره القول التالي: "**إن التداخل بين الفلسفة والدين هو أساس التناظر الذي يقيمه نيتشه بين الصراع ضد أفلاطون، والصراع ضد الاضطهاد الألفي للكنيسة المسيحية، وكان الكنيسة هي نوع من الأفلاطونية بالنسبة للشعب، حتى وان كان هذا لا يعني أنها وريثة للثنائية الأفلاطونية، بل بالا حري لان هذا الأخيرة من نمط ديني تتغذي من الاعتقاد في كون لله حقيقة، وان الحقيقة إلهية، هو اعتقاد موغل في القدم، وهو ذاته الاعتقاد الذي تتأسس عليه المسيحية**"[4]

---

[1] فريدريك نيتشه، عدو المسيح، ص93.

[2] هاني يحي نصري، الدعوة للدخول في تاريخ الفلسفة، ص269.

[3] نقلا عن ،صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، ص347

[4] محمد اندلسي، نيتشه وسياسة الفلسفة، دار توبقال للنشر، المغرب، 2006، ص135

ويري نيتشه أن فلسفة كانط فلسفة ميتافزيقية، لأنها تقر أيضا مثل الفلسفة الأفلاطونية بوجود عالمين، العالم العلوي والعالم السفلي، **ويري نيتشه " أن نهاية كانط كانت نهاية لاهوتي، بدليل انه أيضا ربط الأخلاق بعالم الأشياء في ذاتها، وبذل جهده لإبعادها عن عالم الظواهر، وأقام التراتب بين نموذج الحياة الفعلي للإنسان، التي لا يمكن إن تكون مصدر الأخلاق، وذاك لتغيرها ولارتباطها بعالم المنفعة والمصلحة، وبين مصدر ونموذج من الحياة لا يمت بصلة لهذا العالم"**[1]

فالمسيحية ماورائية غيبية، وذلك من خلال فكرة الإله، والعقاب والثواب، والمسيحية في نظر نيتشه دين المرض، فهي ضد الصحة، والجمال، وترفض الشجاعة وتعاقب الشجعان، وتعمل على إخافتهم بمحاولة ايهامهم بان شجاعتهم خطيئة، وإنهم سيعاقبون عليها.

نيتشه لا يعترف أصلا بالقيم الأخلاقية السائدة، ويحاول مراجعتها من جديد.

فهو إذن لا مخالفا ولا عاصيا ولا منحرفا، إنما هو مستقل عن هذه الأخلاق وإذ كان لا يعترف بما تسميه خير". فهو أيضا لا يعترف بما تسميه شرا. إنما يتخذ له موقفا يخرج عن نطاق تلك القيم الشائعة وينظر إليها من الخارج فحسب".[2]

بمعنى أن نيتشه لا ينقد الأخلاق في حد ذاتها بل ينقد الأخلاق المسيحية، التي كانت سائدة في ذلك العصر، وهي الأخلاق التي يقرها رجال الدين والكهنة، والتي تخدم مصالحهم في السيطرة على الإنساني الأوروبي وإبقائه خاضعا لها.

إن الأخلاق ذات طبيعة مضادة للحياة، فهي دائما تسير ضد الغرائز البشرية وهي إدانة سرية تارة وتارة عنيفة، فهي تقيد حرية وطبيعة الإنسان، وتجعل منه مجرد آلة بدون إبداع فهي تملى على كل شيء، وذلك من خلال أفعل ولا تفعل، أي لا وجود لدور العقل والإرادة هنا.

حيث يقول نيتشة " **إن هذه الطبيعة المضادة نفسها التي هي الأخلاق، والتي تضع الإله نقيضا وإدانة للحياة، ليست في حد ذاتها إلا حكم قيمة عن الحياة أي، عن الحياة الآفلة الضعيفة، الضجرة،**

[1]عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، ص134.

[2]فؤاد زكريا، نوابغ الفكر الغربي نيتشه، ط2، دار المعارف، مصر، ص83.

المذمومة، أن الأخلاق كما صاغها شبنهاور في نهاية المطاف، ك نفي للإرادة الحياة، وهذه الأخلاق هي غريزة الانحطاط".[1]

وهذه الأخلاق مفروضة على الإنسان، فهو مجبر على التقيد بها وعدم عصيانها والخروج عنها، لأنه سيحاسب ويعاقب على تركها والابتعاد عنها.

"لا تستطيع أية قوة أن تفرض نفسها إن لم يكن ممثلوها سوى منافقين، مهما يكن عدد العناصر "العلمانية" التي تضمها الكنيسة الكاثوليكية، فإن قوتها ترتكز على الرهبان.

الرهبان يمثلون القوة الدينية، ويقول نيتشه "**لقد نقبت عن غريزة اللاهوتي في كل مكان، فوجدت أنها أكثر الأشكال انتشارا، وتميزا وخفاء وتعبيرا عن الزيف، فما يراه صحيحا هو أمر خاطئ، وذلك هو معيار الحقيقة عنده، وحينما يمتد تأثيره ينقلب حكم القيم على عقبيه، وتنعكس مفاهيم الصدق والكذب بالضرورة ويسمى أكثر الأشياء إضرار بالحياة بالصدق، ويسمى ما يرفع من قيمة الحياة ويؤكدها، ويركزها ويبررها ويجعلها تنتصر بالكاذب، وإذا ما سيطر رجال الدين على مقاليد الأمور، فلن تكون هناك سوى النهاية، أو إرادة العدمية التي تبحث عن القوة** "[2].

إن نيتشه ينتقد رجال الدين في كل مكان، فهم بالنسبة له يعبرون عن الزيف، ما يراه رجل الدين صحيحا هو في الحقيقة خاطئ، ومفاهيم الصدق والكذب عندهم كلا منهما يأخذ مكان الأخر في نظر نيتشه، فكل ما يعتقد رجل الدين انه صادق فهو مضر بالحياة، وهو يريد الرفع من قيمة الحياة بالكذب، وسيطرة رجال الدين علي كل الأمور أدت إلى نتيجة حتمية، وهي إما النهاية أو اختيار إرادة العدمية التي تبحث عن القوة، لتحقيق ذاتها، الاخلاق بوصفها عارضا من العوارض قناعا ونفاقا ورياء ومرض والتباسا بل الاخلاق ايضا بوصفها سببا لكل الافعال وعلاجا وحافزا وعائقا امام بعض الافعال وتعتبر حيث تعتبر الاخلاق قوة هائلة تتحكم في الانسان.

المبحث الثاني: أصل الأخلاق:

[1] فريدريك نيتشه، أفول الأصنام، تر: حسان بورقية، ط1، إفريقيا الشرق، 1996، ص41

[2] نقلا عن ،صفا عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، ص342.

إن نيتشه يحمل على جميع القيم الأخلاقية التي أصدرتها الإنسانية وهو في عمله هذا أعملي تحليلا دقيقا في أصل هذه القيم وبين أصلها ومصادرها الحقيقة التي اشتقت منها هذه القيم /الأحكام) كاشفا للأوهام التي وقعت فيها الإنسانية.

"**إن الأخلاق ليست متعالية من نؤمن خارج معرفتها كما قال "كانط" أو أنها وصلتنا من مصدر إلهي مجهول إنها من صنع قيمنا نحن البشر**".[1]

فالأخلاق التي ينادي بها نيتشه هي أخلاق مرتبطة بالواقع، وبالتالي فهي ليست أخلاق مثالية ومتعالية، بل يجب أن تساير متطلبات الإنسان في العالم الذي يعيش فيه.

يقول نيتشه" **القيم لا تؤثر في الواقع الطبيعي أي تأثير، ولا الواقع يؤثر في القيم، وبعبارة أخري، فلن يزيد الشيء صفة جديدة إذا اكتسب قيمة، وستظل جميع صفاته العقلية في صلة ببقية الأشياء وبالنظام العام للكون كما هي دون ادني تغيير، وكل تغير يحدث في هذه الحالة إنما يطرأ على الذهن، أعنى على المعني يضفيه العقل البشري علي الشيء**".[2]

العالم الطبيعي مستقل عن القيم، القيم أيضا مستقلة عن الواقع الطبيعي، فالأشياء في الواقع الطبيعي، موجودة لذاته، وهي ثابتة، وليست بحاجة إلى القيم، فهي لا تضيف لها أي صفة، والتغير نابع من الذهن، لأنه ينظر إلى الشيء بنظرة متغيرة، فالعقل البشري هو الذي يحدد القيم، ويضيفها على الأشياء.

"**أما إذا أدركنا أن الكون قد خلا من كل معنى إنساني، فعندئذ يتسع أمامنا المجال لكي نحاول إضفاء ذلك المعنى عليه، لا بطريقة تخيلية تصورية كما فعل الأقدمون، ولكن بالعمل الدائب الذي يرمي إلى إخضاع الكون وتسخيره لغايات البشر**".[3]

في تلك الفترة التي سادت فيها سيطرة رجال الكنيسة على عقل الإنسان الأوروبي، فقد كل المعاني الإنسانية، لأنه أصبح يطبق ما يملي عليه فقط، ونيتشه يدعو الفرد الأوربي إلى الاستيقاظ من هذه الغيبوبة، والعمل على تحقيق ذاته، والثورة على هذه القيم المتعالية وخلق قيم أخرى واقعية تخدمه.

[1] هاني يحي نصري، الدعوة للدخول في الفلسفة، ص273.

[2] نقلا عن ،فؤاد زكرياء، نوابغ الفكر الغربي نيتشه، ص57.

[3] المرجع نفسه، 55.

"والحياة هي التي تفرض علينا ما نفعله وما نحتاجه وما لا نفعل. "فالحياة عند نيتشه تتحكم في خلق كل القيم، فهي أصل القيم العقلية والأخلاقية، أعني أنها هي المبدأ الكامن وراء كل معرفة وكل سلوك".[1]

وعلى هذا يقترح نيتشه قلب القيم والمعاملات الأخلاقية والعودة بالأخلاق إلى أصلها الطبيعي المادي، وعلى الإنسان أن يرفض الترادف المألوف، غير الطبيعي بين الخير والشر، والتراحم والرحمة ويطرح بدلا عنه الترادف الطبيعي المادي، بين الخير والقوة والغزو والغرور.

إن الإنسان يقوم بالفعل الأخلاقي حسب ما يحتاج، وما تفرضه عليه متطلبات الحياة وليس ما يفرض عليه من قبل قوى خفية، وليست لها غاية سوى فرض الخضوع والضعف، وسيطرة العقلية الخرافية، ويعطي لنا فروقا بين القليتين، الخرافية والعلمية، حيث يقول،

"إن الفارق الأساسي بين العقلية الخرافية والعقلية، العقلية العلمية هو اعتقاد الأول بان الكون يسير بالفعل وفق غايات الإنسان، "وما نهضت الروح العلمية إلا منذ اللحظة التي نفض فيها العقل عن نفسه هذا الاعتقاد الواهم، ووضع فيها الإنسان لنفسه شعارا جديدا هو: إذ لم يكن العالم يسير وفقا لغاياتي، فلا أجعله يسير وفقا لها بالعمل والجهد، لا بالأسطورة والخيار في هذه اللحظة نستطيع أن نقول أن العالم الحقيقي قد بدأ: فما العلم إلا محاولة منظمة لتسخير الكون لخدمة الإنسان".[2]

فحينما ثار الإنسان على العقلية الخرافية وحطم الأسطورة الوهمية للأخلاق المسيحية المتعالية بدأ بتحقيق غايته، وهي محاولة تسخير الكون لخدمة الإنسان، بدلا من خضوع الإنسان للكون.

فأصل الأخلاق هو الإنسان لأنه مؤمن بخلقها وفقا لمتطلبات حياته **"مثلا الفعل الطيب، فالحكم على الفعل بأنه "طيب" لم يصدر بتاتا عن أولئك الذين أغدق عليهم هذا الفعل، بل أن "الطيبين" أنفسهم أي البشر الأقوياء ذوي المكانة الرفيعة والسمو، هم الذين اعتبروا أنفسهم "طيبين" وحكموا على أفعالهم بأنها "طيبة" فأوجدوا بذلك تسعيرة الأفعال".**[3]

---

[1] المرجع السابق، ص62.

[2] المرجع نفسه، ص56.

[3] فريدريك نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، 1964، ص22.

في هذا المثال يوضح لنا نيتشه أن الفعل الطيب لم يسمى بالطيب لأنه طيب في حد ذاته، بل أن البشر الأقوياء والذين يمتلكون مكانة في المجتمع هم الذين أطلقوا هذه التسمية على ذلك الفعل، وحكموا عليه بالطيبة وبذلك صار ذلك الفعل طيبا.

يقول نيتشه" إن خالق القيم هو الإنسان، وليس لها خارج الفاعلية الإنسانية أي كيان واقعي. فالإنسان هو الذي أضفي على الكون كل ما فيه من معني، ويظن مع ذ لك المعني فحسب الحق إن الناس قد أعطوا أنفسهم كل خيرهم وشرهم. والحق إنهم لم يتلقوه، ولم يجدوه، ولم يهبط إليهم من السماء."[1].

إن القيم ليس لها أي أهمية بدون الفاعلية الإنسانية، لأنه هو الذي يخلق القيم، والإنسان هو الو حيد الذي يستطيع تصنيف وتحديد الخير والشر، وهو من أضفي عليها الشرعية القيمية، والحق إنهم لم يتلقوه، ولم يهبط إليهم من السماء، في هذا اعتراف وتأكيد على إن كل القيم نابعة من الإنسان، فهو الذي يصدرها ويحكم عليها. **" فالنوع الرفيع من الناس يشعر بأنه "هو" الذي يحدد القيمة ومن هنا لم يكن في حاجة إلى أن يسمى بالخير، وإنما يصدر حكمه على هذا النحو: "إن ما هو ضار بي هو ضار عن ذاته" أي أنه يعرف أنه هو الذي يضفي على الأشياء ما لها من شرف، فهو خالق القيم وهو يمجد كل ما يجده في ذاته".**[2]

إن الإنسان هو خالق القيم وليس مجرد أي إنسان بل أن يكون نبيلا وسيدا وقويا حتى يحق له خلق القيم أو الحكم عليها بأنها خير أو شر.

المبحث الثالث: أخلاق السادة وأخلاق العبيد:

[1] فؤاد زكريا، نيتشه، نوابغ الفكر الغربي، ص ص57، 58

[2] المرجع نفسه،ص168.

وضح لنا نيتشه ان هناك نوعين من الاخلاق وهما اخلاق السادة واخلاق العبيد وبين لنا العلاقة بينهما حيث انهما دائما في تضارب وصراع.

1- أخلاق السادة:

يميز نيتشه بين الانسان القوى والإنسان الضعيف، فالنموذج الضعيف يعمل على التمييز بين الخير والشر، ويقيس على هذين المقياسين كل ما يصدر عن الإدارة الذاتية المبدعة، وهم يرون أن الناس جميعا متساوون في كل الحقوق.

النموذج الأول القوي ويعتبر مصدر المعرفة هو إرادة القوة وهو تابع لهذه القوة فهي التي تجعل منه إنسانا سيدا وقويا، وهو المبدع الحقيقي وهو لا عطي أهمية للذنب والخطيئة فهو غير مقيد بالأخلاق.

"من الأمور الأساسية في فكرة نيتشه وضع نموذجين بشريين قبالة بعضهما البعض، وهما القوي والضعيف، فالثاني يرى في المعرفة مجرد فعل موضوعي ينبغي أن يبدأ وينتهي في العقل الذي يستقى نسقه من العالم الخارجي، وبتعبير آخر يبحث عن التمييز ما بين الخير والشر في الإرادة العالمية الخالدة، إن كل ما يصدر عن الإرادة الذاتية المبدعة، وبالتالي كل ما يقلل من شأن الإرادة الكلية، إنما هو بمثابة اقتراف للخطيئة"[1].

فالنموذج الضعيف من الإنسان ليس حرا بل هو خاضع للإرادة الكلية، وأي محاولة للخروج عن هذه الإرادة أو تجاوزها يعتبر ذنب وخطيئة ويجب المعاقبة عليها.

"أما النموذج القوي فتمثل المعرفة لديه تعبيرا عن إرادة القوة ولا تكون الأشياء قابلة للتفكير إلا من خلالها كما يجعل من نفسه تابعا لهذه القوة. وهو يعلم علم اليقين أنه هو ذاته مبدع الحقيقة، وأن لا أحدا سواه له الحق في أن يحدد له خيره وشره، وأفعال الفرد لديه ناتجة عن دوافع طبيعية، وصلاحيتها تأتي من كونها أصوات للطبيعة دون أن يكون لها علاقة بذنب أو خطيئة، وأن يرتبط بها أي شجب أخلاقي".[2]

---

[1]رودولف شتاينر، نيتشه مكافحا ضد عصره، ص 114.

[2]. عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، ص 14

وهذا النموذج الأول من الإنسان هو الإنسان القوي الحر، هو الإنسان السيد، وهو الذي يخلق القيم وهو وحده الذي يقرر إن كانت هذه القيم خيرا أو شرا، وهو غير خاضع للخطيئة، فهو في كل الحالات لا يعتبر مذنبا لأنه هو الذي يحدد ويطلق الحكم بأن يكون الفرد مذنبا أو ليس مذنبا، ومن المستحيل أن يحاسب نفسه ويخضعها للعقاب.

"الأخلاق النبيلة هي المثل النموذجي " للروح الحرة" والأخلاق يجد أصوله في الثقافة الأرستقراطية كما هي الحال عند اليونان القدماء. ويقول نيتشه فهنا ترتبط فكرة "الخير" ب حالات الفخر والاستعلاء التي اعتبرت متميزة وتتحدد بواسطة نظام الرتبة، في النظام الاجتماعي في مثل هذه الثقافات لا توجد فكرة الخير والشر، بل بالأحرى فكرة النبالة والوضاعة وهذان المصطلحان ينط بقان على الناس لا على الأفعال".[1]

نيتشه يعطي الأولوية لأخلاق السادة من الناحية النفسية، وذلك لأنها أخلاق القوة وهي تفرض ذاتها بذاتها ولا تحتاج إلى تبرير ذاتها ذلك لأنها نابعة من إرادة القوة. **ويقول نيتشه "إن النمط الأول هو نمط السادة Maîtros أو النبلاء، الذين هم الأسبق من الناحية الزمنية، مما يعني أسبقيتهم أيضا فيوضع القيم، وتحديد سلم التفاضل ومعايير التقويم، لأن الطبقة النبيلة كانت دائما في الأصل أو البدء، طبقة من البرابرة، وعلوها لا يأتي من تفوقها الفيزيولوجي فقط. بل في قوتها النفسية لقد كانوا في تراكيبهم الإنساني الأكثر كمالا".**[2]

ويرى نيتشه أن أخلاق السادة لها الأولوية من الناحية التاريخية أيضا، لأن السادة هم السباقون في وضع القيم الأخلاقية لأنها نابعة من ذاتهم، باعتبارها ذات عارفة وقوية ومكتملة، فهم النبلاء والأرستقراطيين هم الذين أنشئوا الحضارات الكبرى.

"إن أخلاق النبلاء ليس شيئا سوى الشعور بالامتلاء والتمجيد للذات فهي أخلاق الأقوياء التي لا تعبأ بالمفاهيم الأخلاقية، كالخير والشر مثلا ولا تتساءل أن يكون الفعل طيبا أو غير ذلك، إنما

[1] لورانس جين كيتي شين، أقدم لك نيتشه، تر، إمام عبد الفتاح، إمام المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2004، ص120.
[2] عبد الرزاق بالعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، ص185.

يكون مقياس أخلاقية الفعل هو أن يعبر عن روح القوة، وأن يلاءم تلك النفوس الزاخرة التي تشعر بأنها مانحة للقيم وخالقتها، فهي تصدر الخير عن إحساس قوي بالوفرة والامتلاء والقوة الفياضة الباذلة"[1].

وتتميز أخلاق الإنسان النبيل بصفات منها:

1-أنها الأخلاق الأصلية وهي مرتبطة بعمق الإثبات الحيوي والمبدع هذه الصفة الغالبة.

2- أنها تمجد الفر دانية وتطمح إلى الغزو.

3- لا تقبل بالقيم الثابتة، ولا بالواجبات، فالإنسان القوي يبتكر قيمته أنه يحدد واجباته، يقرر مصيره بنفسه بخلق الجديد ويهدم القديم الفاسد.

4-إنها مرتبطة بإرادة القوة مسيطرة ومجسدة لكل ما يعتبر مستحيلا".[2]

وأخلاق السادة هي أخلاق أصلية لأنها نابعة من الذات القوية وهي فردية وهي غير ثابتة ومتغيرة حسب تغير حالته النفسية وأيضا حسب مصالحه وحاجاته ومتطلبات الحياة.

إن تقارب القراءات النيتشوية أخلاقية النبلاء وتمجيد الذات عبر ثلاثة رؤى.

1- "**رؤية سوسيو تاريخية:** يكون النبيل هو صاحب المكانة والأخلاق القوية داخل جسد اجتماعي متعدد.

2- **رؤيـة نفسـية:** جـوهر الإرادة بالنسـبة للإنسـان النبيـل هـو الإثبـات وهـي إرادة زاخـرة بالقـوة النفسية، المبدعة للقيم.

3- **رؤية فيزيولوجية:** حيث تكون قيم النبلاء دليلا عن الحياة والصحة والقوة الأصلية".[3]

إن أخلاق السادة هي الأخلاق المسيطرة في تلك المجتمعات وبقوة عن كل النواحي وتعتبر هي النموذج الأفضل الذي يجب أن يسير عليه كل أفراد المجتمع.

---

[1] المرجع السابق، ص 188.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص190.

إن أخلاق السادة هي أخلاق تسعى للنهوض بالحياة للتطور، لتصل في النهاية إلى المثل الأعلى الإنسان وهو "الإنسان الأرقى أي "لسوبرمان"، وهذا الرجل ليس له علاقة بصفة الطيب بل هو الرجل القوي الذي يسعى إلى تحقيق المزيد من القوة والامتلاء، ويتسم بصفات الرجل الشهم أو النبيل.

"أخلاق السادة هي الأخلاق التي تسعي إلى النهوض بالحياة وتريدها امتلاء وقوة وتصل في النهاية إلى المثل الأعلى الإنسان الذي يسميه نيتشه "الإنسان الأرقى" "لسوبرمان" هذا الإنسان لا يمت بصلة إلى "الإنسان الطيب" بل هو إنسان قوي يسعى إلى مزيد من الحيوية في كل شيء.[1]

– أخلاق العبيد:

العبيد هم عامة الشعب، ويمثلون أغلبية المجتمع، وهم في أغلب الأحيان خاضعون للأسياد، وذلك ليس نابعا من رضي النفس بل لأنهم ضعفاء ولا يستطيعون تحرير أنفسهم من الأقوياء. حيث **يقول نيتشه**. **"فنظرة العبيد لا ترضى بفضائل الأقوياء، بل نلمس فيها نوعا من الشك وعدم الثقة. العمق في العداء لكل ما تجلبه أخلاق الأقوياء وتعده خيرا، وربما اقنع المرء نفسه بأن سعادة هؤلاء الآخرين ليست سعادة حقيقية بدورها".**[2]

إن أخلاق العبيد تختلف عن أخلاق الأسياد، وهي معاكسة لها تماما فهي تعطي أهمية للشفقة والصبر والرحمة. "فتمجيد الشفقة، وليد المعينة المنقذة والقلب الرؤوف والصبر جلد، والتواضع، ذلك لأن هذه هي أكثر الصفات مجلبة للنفع، وتكاد تكون هي الوسيلة الوحيدة للتخفيف من وطأة الحياة. فأخلاق العبيد هي أخلاق المنفعة، وفي ظلها يظهر التقابل بين ما هو "خير" وما هو "شر".[3]

فهي تميز بين الفعل الذي فيه خير والفعل الذي فيه شر، فالعبيد ينظرون لقيمة الفعل في حد ذاته وليس للأشخاص، فالشرير في أخلاق العبيد يثير الخوف على عكس ما هو موجود في أخلاق السادة، فالشخص المفضل والمحمود هو الذي يثير الخوف.

[1] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت ،ط1، 1993، ص119.
[2] فؤاد زكرياء، نوابغ الفكر الغربي نيتشه، ص171.
[3] المرجع نفسه، ص172.

إن تمرد العبيد في الأخلاق نشأ في بدايته مع اليهود، هذا التمرد الذي يجر في أعقابه تاريخا طويلا من عشرين قرنا. والذي لا يمكن نسيانه إلى اليوم، لأنه كان تمردا عظيما وناجحا، وهو الذي انتصر فيه العبيد. "يبتدئ تمرد العبيد في الأخلاق عندما يصبح الحقد نفسه خلاقا إلى حد توليد القيم: حقد هذه الكائنات التي تتقدر عليها الاستجابة الحقيقة، أي استجابة الفعل لا استجابة رد الفعل. والتي لا تجد التعويض عن هذا العذر إلا في عملية انتقام خيالية. وبينما نجد أن كل أخلاق ارستقراطية تولد من تأكيد فخور لذاتها، نجد أن أخلاق العبيد توجه قبل كل شيء رفضا لكل ما لا يشكل جزءا من ذاتها".[1]

نلاحظ أن هذا النوع من الأخلاق ليس نابعا من ذاته بل هو نتيجة دوافع نفسية، والتي تتشكل على مر الزمن حتى وصل الكبت إلى ذروته، ووصل الحقد إلى أقصى حد ومن هذا جاء رد الفعل والتي تشكل أخلاق العبيد.

"فأخلاق العبيد تحتاج دائما وقبل كل شيء إلى عالم مواجه لها وخارج عنها، لكي تولد أنها بحاجة إلى حافز خارجي لكي تفعل فعلها، فهو كناية عن ردة فعل، والعكس عند تقدير قيم الأسياد، فالتقدير هنا يفعل فعله وينمو بعفوية، إنه لا يبحث عن نقيضه إلا لكي يؤكد ذاته".[2]

إن أخلاق العبيد لم تنشأ من ذاتها، بل هي جاءت كردة فعل مضادة لأخلاق السادة التي كانت تحتقرهم وتحط من قيمتهم، بينما أخلاق السادة هي أخلاق وجدت من أجل ذاتها وهي تمجد الأسياد، وترى أنه كل ما يجلب لهم المنفعة هو خير، حتى وإن كان على حساب العبيد.

نلاحظ أن نيتشه في دراسته لأخلاق العبيد، قد استخدم المنهج النفسي، وذلك لأن قيم العبيد لم تخلق من أجل ذاتها بل لأنها جاءت كردة فعل نفسية نتيجة الضغوطات والاحتقار الذي كان يعاني منه العبيد، وذلك بسبب أخلاق الأسياد التي كانت تعتمد على القوة والتي ليس لها مكان للرحمة ولا للشفقة، ولهذا سمى نيتشه أخلاق العبيد بأخلاق الحقد.

يقول نيتشه " تبدأ ثورة العبيد في الأخلاق حين يصر الحقد نفسه خلاقا وينتج قيما، حقد هؤلاء الذين يحرم عليهم رد الفعل الحقيقي وهو الفعل".[1]

[1]فريدريك نيتشة، أصل الأخلاق وفصلها،ص32.

[2]المصدر نفسه، ص33.

فالعبيد محرومون من الفعل الحقيقي الحر فهم لا يفعلون الفعل من أجل الفعل او لأنه نابع من ذاتهم، بل هم يفعلونه لأنهم مأمورين به وهو مفروض عليهم فهم مرغمون على فعله دون القيام بردة فعل أو المعارضة.

"والعاطفة القوية و"أخلاق العبيد" هي "الحقد" الذي يشعر به الضعفاء حيال الأقوياء، مع تحين كل فرصة للانتقام وهذا في نظري هو الطريق الي اسمي الآمال".[2]

فعاطفة الحقد لدى العبيد تعتبر بمثابة الدافع للحياة، فهي التي تعني لهم الأمل في القدرة على التمرد والتحرر من الأسياد. فالحقد يتشكل من الكبت فالعبيد ليس لهم الحق في أن يعبروا عما يجول داخل أنفسهم، وليس لهم الحق في إبداء آرائهم من رفض بعض الأمور أو قبولها، فعليهم الطاعة فحسب.

"والكبح الذي يعنيه نيتشه هنا هو الحؤول دون اختلاط منظومتي الجهاز الارتكاسي للإنسان، الوعي واللاوعي. وكل ضعف يصيب ملكة النسيان ينتج عنه الإثارة داخل اللاوعي مما يجعل رد الفعل على الآثار يكتسح الوعي، وثم لا تكون القوى الفاعلة قادرة على الفعل ويتغلب رد الفعل على الفعل وهذا هو معنى الحقد".[3]

إن نيتشه يميز بين الوعي واللاوعي وتتحد ذاكرة اللاوعي بذاكرة الآثار الدائمة وهي منظومة تسيطر عليها ذاكرة الأثر، وإلى جانبها منظومة أخرى وهي ردة الفعل على الآثار الحالية ويجب الفصل بين المنظومتين حتى لا يكتسح اللاوعي الوعي وللحقد سمات ثلاثة:

1- العجز عن الإعجاب والاحترام والحب:

---

[1] نقلا عن عبد الرزاق بالعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، ص192.

[2] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص190.

[3] عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، ص193

من سمات الحقودين إنهم يضمرون الكراهية لكل ما يشعر الناس بأنه مدعاة للمحبة والإعجاب، وتصغير كل شيء، وهو أيضا متشائم، يبصر الفخاخ مزروعة في كل مكان، وما يدهش في إنسان الحقد خبثه، ونية الإيذاء لديه، وقدرته الكبيرة على بخس القيم، انه بعبارة واحدة قيم النبلاء منظور إليها بالمقلوب.[1]

إن الحقودين ليسوا طبعيين، فهم يعانون من مرض نفسي، وهو الحقد والغيرة من الآخرين، والشعور الدائم بالكراهية نحوهم، ونلاحظ إنهم ليتمتعوا بالثقة والراحة النفسية، فهم يشكون دائما في الآخرين.

2- السلبية.

إذا كان الارستقراطي النبيل ليس في حاجة إلى اصطناع سعادته بالمقارنة مع أعدائه، أو إلى إقناع نفسه بذلك عن طريق الكذب، والسعادة والعمل بالنسبة إليه شيء واحد، فان إنسان الحقد الرازح تحت وطأة مشاعره العدوانية والسامة، تتخذ السعادة لديه شكل المحذر أو التليين، أو الراحة، والهدوء، أو فتور العقل والجسم، باختصار، تتخذ شكلها السلبي.[2]

تعني السعادة عند الإنسان الحاقد العزوف عن العمل، والخمول والكسل، أي التوقف عن كل فعل سواء كان فعلا عقليا، اوجسميا.

3-غزو الأخطاء وتوزيع مسؤوليات الاتهام الدائم:

إنسان الحقد يحمل الآخرين مسؤولية الخطأ، كونهم لم يحبوه أو لم يحب هو وهاته السمة تحل محل العدوانية، فما إن يخذل الحقد توقعات الإنسان حتى يفجر اتهامات قاسية فاصلة فإنسان الحقد لا يشعر بأنه طيب إلا إذا شعر أن الآخرين خبثاء فصيغته الأساسية هي: أنت خبيث، إذا أنا طيب، وهي صيغت تلخص كل ما هو جوهري في الحقد، بكل سماته السابقة وتدرجه في إطار النموذج الإرتكاسي، إنها تحتاج لكي تنمو إلى محفزات خارجية، كي تثبت ذاتها وتنفي الأخر[3]

[1] المرجع السابق، ص194.

[2] ، المرجع، نفسه ص195.

[3] المرجع نفسه، ص196.

إن إنسان الحقد يشعر دائما بأنه مذموم من طرف الآخرين، وفي نفس الوقت هو لا يحبهم، ولكي يشعر إنسان الحقد بأنه طيب، يجب إن يتهم الآخرين بأنهم أشرار، وخبثاء، فالفعل لدي إنسان الحقد عبارة عن ردة فعل، وليس فعل حر، ويحتاج دائما إلى محفز، كي يقوم به، من اجل إثبات ذاته.

وفي الأخير يمكن ان نستنتج ان نيتشه احتقر الدين المسيحي، بشكل ليس له مثيل، كما اعتبر أن الحضارة الأوروبية على وشك الانهيار في حال ما واصلت تمسكها بالدين المسيحي والمثل العليا القديمة لأن انهيار تلك القيم القديمة سيؤدي لحالة فراغ أو فجوة هي (العدمية). من هنا تبدأ تظهر ملامح الإنسان الخارق لنيتشه ومفاتيح تلك الشخصية أي الإنسان المتعالي أو السوبرمان وفلسفة إرادة القوة حيث يرى أن الضعفاء في العصور السابقة قاموا بابتداع المثل العليا لتحقيق مآربهم فقام بمهاجمة كل القيم والمثل العليا القديمة الضعفاء خدعوا وأخضعوا أنفسهم للحفاظ على أخلاقهم. أوهموا وتوهموا بكلام وإيمان وأفكار هم التي صانعوها يراها النبلاء، انتقاما باطل من أخلاقهم وقيمهم وبالنسبية لنيتشه فأخلاق الأقلية (النبلاء و الأغلبية) و (الضعفاء العبيد) ما هي إلا قلب للقيم ذاتها

تمهيد

النهضة وهي عبارة عن حركة ثقافيّة علميّة امتدت من القرن الرابع عشر الميلاديّ وحتى القرن السابع عشر، وكانت بداياتها في أواخر العصور الوسطى ابتدأت من إيطاليا ثم انتشرت في باقي الأرجاء الأوروبيّة، وداخل عصر النهضة مع نهاية حقبة في التاريخ الأوروبي تعرف بالعصور الوسطى، بدأت في القرن الخامس الميلادي. رفض قادة عصر النهضة عددًا كبيرًا من مواقف العصور الوسطى وأفكارها. فقد اعتقد مفكرو أوروبا في العصور الوسطى، على سبيل المثال، بأن الواجب الرئيسي للناس هو الصلاة والاهتمام بخلاص أرواحهم، وأن المجتمع مملوء بالمغريات الشريرة. لكن مفكري عصر النهضة ركزوا، من ناحية أخرى، على مسؤوليات الناس وواجباتهم تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه، واعتقدوا أن المجتمع يستطيع أن يجعل الناس متحضرين أكثر مما يجعلهم أشرارًا.

"مع عصر النهضة ابعد كل ما هو روحي في تفسير الطبيعة، عالم الروح الذي كان يؤمن التواصل بين الروح، والجسد باعتباره صلة الوصل بينهما، والعوالم المترتبة التي قال بها أفلاطونيون المحدثون، والحشد الفوضوي للقوي العليا، والسفلي والكيفيات الخفية، والصور الجوهرية التي كانت تجعل الكون كلا مترتبا عضويا، كل ذلك قد زال، وانتهي ذاك التعارض القائم بين العوالم الأرضية ممالك النقص، والدوائر السماوية، وأعيد توزيع المادة، والحركة بالتساوي بين هاذين العالمين ".[1]

بهذا التصورات الجديدة التي جاءت مع عصر النهضة، أعيد ترتيب المفاهيم الأنطولوجية من جديد وتغيرت الرؤية للوجود، إذ أخذت التصورات الكنسية، واللاهوتية للعالم مكان أدنى مرتبة، مقارنة بما كانت عليه من قبل، حيث أصبح الإنسان الغربي الذي كان مقصى، وحبيس الخطيئة، هو الأساس في فهم الوجود، بمعنى اتجاه العلاقة بين الذات أخذ منحى عكسيا، فبعدما كانت الذات تخضع لموضوعاتها أصبحت العلاقة عكسية؛ الموضوع يخضع للذات، انطلاقا من إزالة المفهوم الروحي عن الوجود.

[1] سعاد طيباوي، نيتشه والعدمية: العالم من التأمل الأنطولوجي الي التأويل الاكسيولوجي، مذكرة ماستر أكاديمي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2014/ 2015، ص45

المبحث الأول: العدمية*

لقد سادت العدمية في المجتمع الأوربي نتيجة موت الاله وتدهور الأخلاق وبالتالي شغور العلم من كل قوة تتحكم فيه ومستقبلنا هو الموت الأكيد وأيضا حياة الانسان كلها عدم إلى أن يضع الانسان لنفسه شخصية وبذ الك يتجاوز العدمية.

ولقد اقترنت العدمية بفيلسوف القوة نيتشه الذي رفض الأخلاق المسيحية، التي كانت سائدة في تلك الفترة ونقدها واعتبارها أخلاق زائفة وغير صالحة، وأيضا نتيجة خلو العالم من إله يحكمه ويسيره، ونتيجة لهذا ظهرت العدمية.

"وصل الإنسان الغربي في النصف الثاني من القرن التاع عشر إلى حالة من الإنكار المطلق. فلم يعد الإنسان يؤمن بشيء. ولا يجد قيمة في شان من شؤون الحياة والوجود حيث. امتلكه شك قاتل. واضطراب في النفس وبلبلة في التفكير، وكان الشؤم وإنكار الحياة هما الطابع الغالب علي تفكيره ونظرته في الوجود."[1]

"فبدا يبحث عن عالم أخر غير هذا العالم، يعده العالم الحقيقي، لكن يخيل إليه من بعد انه خدع فيسلم بالوجود الواقعي، ويصبح أمام خيارين: إما أن يطرح هذا العالم الأخر وراء ظهره بوصفه خرافه، ووهما وهنا يتبدد أمله، ولن يعود شيء ذا قيمة في نظره، أو ينكر الوجود الواقعي، وفي كلتي الحالتين هو يتجه نحو الإنكار المطلق، الأول إنكار كل القيم والثاني إنكار قيمة الحياة."[2]

العدمية: شغور الأخلاق: حيث يقول نيتشه " من يستطيع أن يصف لنا ما سيحل محل الأحاسيس والأحكام الأخلاقية، وأن لما نعلم أنها ترتكز على أسس معينة وأن مردها مستحيل الإصلاح يتناقض إقرارها يوما بعد يوم، ولا يتناقض إقرار العقل."[3]

---

*__العدمية__: Nihilisme مشتقة من الفعل اللاتيني Nihil ومعناه لا شيء والعدمية "ثلاثة: فلسفية وهي مرادفة للريبية، وسياسية وهي مرادفة للامتناع عن الاعتراف بشرعية القيود القانونية المفروضة على الأفراد. وأخلاقية وهي مرادفة لإنكار القيم الأخلاقية، وإبطال مراتبها. أنظر إلى جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت دط، ج2، مادة العدمية 1982 ص66-67.

[1]عبد الرحمان بدوي، نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1975، ص 158.

[2]المرجع نفسه، ص ص157، 158.

[3]نيتشه، الفجر، تر: محمد ناجي، افريقيا الشرق، الدر البيضاء، 2013، ص235.

ويقول ابضا "وما يمكن أن نفعله في فترة الشعور الأخلاقي هاته هو أن نكون سالمين نفوسنا ما أمكن وأن نبني دويلات تجريبية صغيرة، نحن تجارب فنكن تجارب عن طيب خاطر".[1]

وهي عبارة عن مرحلة انتقال من موت الأخلاق القديمة واندثارها إلى فترة التفكير في بناء أخلاق جديدة وصحيحة وغير زائفة يكون مصدرها العقل.

"إن التصور المسيحي الله إله مر ضي الله العنكبوت الله الروح هو أحد التصورات الإلهية الأكثر فسادا التي حدث أن تحققت على الأرض، الله منحطا إلى حد أن يكون في تناقض مع الحياة بدلا من أن يكون تمجيدا لها وإثباتها الأبدي إلى حد إعلان الحرب باسم الله على الحياة".[2]

لقد أعطى لنا نتشة هذه الصواعق والتي جاءت من قناعته بعدم وجود أي ثوابت وراء المتغيرات التي تجري في الحياة وكل ما هنالك وجود تأويلا مختلفا ليس إلا.

يوجد كائن لا اسم له تقدم من زراد يشت وقال له حرر اللغز الذي هو أنا وقل لي من أنا؟ وعندما سمع زراد يشت هذا الكلام أغمي عليه، ثم نهض مرة أخرى وقال "عرفتك وقال بصوت فولاذي، فأنت قائل الله دعني أمر".

فالله الذي كان يحكم العالم قد مات والعالم يسير بدون أن يتحكم فيه أحد ومن هذا جاءت العدمية.

"لكن هو نقد وجب حقا أن يموت، فبعينيه اللتين كانت تريان كل شيء كان يرى عمق الإنسان وخلفيته، كل عاره وقبحه الخفيين فالإنسان لا يتحمل أن يترك شاهدا كهذا على قيد الحياة.[3]

ولذلك وجب أن يموت الله، لأنه كان يعلم بكل شيء يقوم به الإنسان، وكان يقيده من خلال الأوامر والنواهي وكان ينشر فيه الرعب من خلال فكرة الحياة الآخرة وفكرة الحساب والعقاب فيها على من يرتكب الخطيئة والآثام، لأن هذه الأفكار ايضا تؤدي إلى العدمية وذلك من خلال الخضوع لله والبقاء في تنفيذ الأوامر وهذا من خلال ما يمليه الكهنة ورجال الدين على الأفراد.

---

[1] المصدر السابق، الصفحة السابقة .

[2] جيل دلوز، نيتشة، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998، ص98.

[3] فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زراديشت، تر: فليكس فارس، مطبعة بريدة، البصيرة، 1938، ص 25.

"نيتشه مع معلمه زراد يشت بأن العالم تحكمه العدمية وذلك بعد تحطيم أصنام الدين المسيحي، ويعرف نيتشه العدمية على النحو التالي: "هناك تناقض بين العالم الذي يباركه الغرب ويقدسه وبين العالم الذي يحيا فيه، ويشكل واقعه الفعلي، وهناك اختياران لا ثالث لهما، فإما حذف وإزالة التبريك الغربي، وإما حذف ومحو الذات الغربية والاختيار الثاني هو العدمية".[1]

يرى نيتشه أن هناك اختلاف وتناقض وتصارع بين العالم الذي يفرضه الغرب ويمجده ويقدسه وهو العالم الذي يخدم مصالح الأسياد ورجال الدين والكهنة والنبلاء وبين العالم الواقعي الفعلي وهو علم الأغلبية. وهو عالم الشعب والعامة الضعفاء ويجب علينا اختيار عالم منهما، ويحذف الآخر. فالعالم الأول هو العالم المثالي، وإذا اخترنا العالم الثاني تتحقق العدمية.

وذلك لأن العالم الثاني لا يؤمن بوجود قوة تتحكم في الكون وهم يؤمنون بموت الإله.

"والعدمية تتخذ ثلاثة مظاهر أساسية هي بمثابة أحكام مسبقة.

1-المظهر الأول: "تتمثل في القول بأن لا شيء يتحقق عبر الصيرورة وبالتالي فإن الادعاء بوجود هذه الصيرورة تهافت".[2]

لقد قام نيتشه بتغيير جذري فيما يخص الميتافيزيقا الكلاسيكية، حيث أعاد الاعتبار للنظرة الأولى حول الوجود القائم على الفوضى، إن المقاربة الحقيقية والأصلية للفوضى هي انعدام التسلسل: "إن طبيعة كل العالم هي منذ الأزل طبيعة الفوضى، ليس بسبب غياب الحاجة لكن بسبب غياب النظام، المتمفصل، فالدقة العقلية لا وجود لها في العالم النيتشوي، لأن الدقة تستدعي النظام، والنظام يستدعي المنطق والمنطق يستدعي التسلسل،

2-المظهر الثاني: "وهو إدراك عدم خضوع الصيرورة لوحدة عليا أو لنظام صارم. يعتبر الفرد جزءا منه ووسيلة من أجله. وهو ما يعني أن الفرد فقد الاعتقاد في قيمته بفقدان الاعتقاد في الكلية التاريخية، أي في كل الذي ينتمي إليه ويستمد منه قيمته."[3]

---

[1] محمد اندلسي، نيتشه وسياسة الفلسفة، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص58.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعلى هذا فإن العالم لا يعرف قانونا يسير وفقه فيقوده في مجرى معين للأحداث "لنحذر أن نعلن أن هناك قوانين في الطبيعة إذ لا أحد يطيع ولا أحد يحكم ولا أحد ينتهك القانون وعليه فلا وجود لأية غاية في هذا العالم، لأن الغاية إنما هي ناتجة عن القانون الذي يتبع مسارا محددا تكون هي نهايته المحتومة، والتي هي الإله المسيحي.

3-المظهر الثالث: "هو نتيجة لفقدان الاعتقاد في الحكم المسبق الثاني وهو في الوقت ذاته بديل عنه، إنه اعتبار عالم الصيرورة بمثابة وهم. ثم خلق عالم يوجد فيما وراء الصيرورة باعتباره العالم الحق، وهو العالم الذي يتم التخلي عن الاعتقاد فيه بمجرد ما تزول الحاجة السيكولوجية التي اقتضته، ويصير عالم الصيرورة عالم الحق، لكن عالم الصيرورة، حتى حينما يصير العالم الحق، يبقي الانسان الحديث عاجزا عن تحمله وقبوله ومن ثم يتعمق لديه الإحساس بلا قيمة واللامعنى."[1]

لقد كان الادعاء الشائع أن العالم خاضع لصيرورة وهذه الصيرورة هي بدورها خاضعة لوحدة عليا أو لنظام صارم والتي تشمل وجود إله متعالي يحكم الكون وينظمه والإنسان عاجز عن تقبل هذه الصيرورة ومن خلال رفضه لهذه الصيرورة يتكون لديه الإحساس بلا قيمة واللامعنى أي أن الحياة عبثية ومن هذا جاءت العدمية.

العدمية عند نيتشه لا تعني اللاوجود بل تعني قيمة العدم: وهذه القيمة تأتي من الحط من قيمة الحياة وتصورها على أنها مجرد حياة عبثية بدون معنى أو هدف وهذا كله نتيجة الوهم الذي قد يكون الله أو الخير أو الحقيقة.

"وفعل الصيرورة الذي يحكم الوجود ليس صيرورة مستمرة لانهائية، وانما تأتي فترة يسميها نتشة باسمً السنة الكبرىً وعندها تنتهي دورة الصيرورة لتبدأ دورة جديدة، هكذا دواليك فزمان الوجود مقسم الي دورات، وكل دورة تكرار تام للوحدة السابقة عليها. وتوجد هوية تامة بين الواحدة والأخرى، فكان صورة الوجود تتكرر بلا انقطاع في الزمان اللانهائي وهذا التكرار يتناول كل التفاصيل والجزئيات".[2]

[1] المرجع السابق، ص58.

[2] عبد الرحمن بدوي، نيتشه، ص249

ويقول نيتشه في هذا الصدد على لسان زراد يشت: "**ما غرب عنا كلامك يا زرا، فانت تقول بان جميع الاشياء تعود ابدا، ونحن معها عائدون، وبأننا وجدنا ووجدنا مرارا لا عدد لها ومعنا جميع الاشياء ايضا.**"[1]

وفي موضع اخر يقول:"**انت تقول بالسنة العظمي المتكررة وهي كالساعة الرملية، تتقلب كلما فرغ اعلاها ليعود ادناها للانصباب، وهكذا، تتشابه السنوات كلها بإجمالها، وتفصيلها كما نعود نحن مشابهين لأنفسنا اجمالا، وتفصيلا في هذه السنة العظمي.** "[2]

ومن خلال هذا تظهر فكرة العود الابدي التي قال بها نيتشه

وحسب مؤلف زراد يشت لنيتشه يمكن التمييز في العدمية بين أربعة أشكال:

1-تبخيس قيمة العالم المادي باسم عالم آخر مفارق.

2-تبخيس قيمة العالم المثالي وهو العالم المحسوس.

3-محاولة للفعل بدون أي تبرير مستمد من الإيمان بعالم آخر.

واستبدال الأساس الإلهي للقيم بأساس إنساني.

4-إرادة قول التمرد وهدم الألواح القديمة وبناء ألواح جديدة".[3]

نلاحظ أن العدمية تقوم على تبخيس والحط من قيمة كل شيء في الحياة وهي لم تستثني أي شيء ومحاولة تحويل المحسوس إلى المعقول.

"**المظهر الأول** للعدمية يلقب بالعدمية السالبة أو النافية وهي تقوم على تبخيس الحياة باسم القيم العليا إنها تمكن سيادة اللاهوت الميتافيزيقيا والأخلاق.

المظهر الثاني: يعطينا معناها الارتكاسي، فهي لا تشكل إرادة ولكنها بمثابة ردة فعل ضد القيم العليا.

---

[1] فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زراديشت، ص ص 188، 189.

[2] المصدر نفسه، ص189

[3] محمد أندلسي، نتشة وسياسة الفلسفة، ص58.

العدمية لم تأتي من العدم فهي عبارة عن ردة فعل ونتيجة حتمية لرفض الأخلاق والقيم العليا .

المظهر الثالث: يتمثل في قلب الأفلاطونية يعني قلب أولوية عالم ما فوق الحسي وذلك يتم استبدال العوالم ويصير الأعلى هو المعقول ويصير هو المحسوس، وبدل أن يكون الأسفل هو المحسوس يصير هو المعقول."

ونلاحظ ان للعدمية ثلاثة مظاهر وكل مظهر يأتي نتيجة حتمية للمظهر الذي يسبقه ، فالمظهر الأول يحط من قيمة الحياة ويعطي الأولوية الى المثل العليا ، وجاء المظهر الثاني مناقضا له، لان القيم العليا قيم زائفة ،ثم جاء المظهر الثالث ويتمثل في ضد الأفلاطونية وذا لك بإعطاء الأولوية الي العالم المحسوس .

المبحث الثاني: إدارة القوة:

في ظل وجود هذه العدمية وخلو العالم من القيم الأخلاقية التي تحكمه وخلوه أيضا من الآلهة التي تفرض عليه إتباع أخلاق معينة، جاءت إرادة القوة لتملأ هذا الفراغ، لأن الطبيعة بطبعها لا تقبل الفراغ مثل ما قال أرسطو.

ويقول نيتشه "إدارة القوة محاولة "لقلب كل القيم" وهي حركة ستعوض هذه العدمية الكاملة والتي تعتبر حتمية، لأنها هي آخر مآل منطقي لقيمنا الكبرى ولمثلنا الأعلى، لأنه علينا أن نجتاز العدمية لكي ندرك القيمة الحقيقية لهاته القيم التي سادت فيها مضي... مهما تكن هاته الحركة فإننا سنحتاج يوما إلى قيم جديدة".[1]

لقد جاءت إرادة القوة تجاوزا للعدمية وفي نفس الوقت إرادة القوة تحتاج إلى العدمية وذلك لأن إرادة القوة تتحرك بالحرية والتي تعتبرها أساسا لها وظل وجود هذه العدمية وجدة إرادة القوة الحرية التامة، من أجل الإبداع والخلق.

"يرى نيتشه أن إرادة القوة تحتاج إلى العدمية التي تمهد الطريق للإبداع والخلق، فإذا كان العالم بلا شكل، ودلالة، فإن إرادة القوة هي التي تفرض عليه الشكل والمعنى اللذين تتعذر الحياة بديونهما".[2]

فإدارة القوة تعتبر هي الخالق لمعالم العالم الذي نعيش فيه.

1-إرادة القوة بوصفها معرفة:

المعرفة عند نيتشه تعني العالم وذلك من أجل اكتساب القدرة على التعايش فيه.

حيث يقول نيتشه "تعمل المعرفة كأداة للقوة، بالتالي فهي بالبديهي أن تزداد بازدياد القوة. معنى المعرفة يجب هنا كما هو الشأن بالنسبة لفكرة "الخير والجمال" أن نتخلى بصرامة ودقة إلى التصور من زاوية علم الأحياء والمركزية البشرية".[3]

---

[1] فريدريك نيتشه، إرادة القوة، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011، ص8.

[2] صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نتشة، دار المعرفة الجامعية، ص262.

[3] فريدريك نيتشه، إدارة القوة، ص207.

فالمعرفة عند نتشه تعن تفسير العالم، وهذا التفسير يعتمد على العلية والسببية، وهو يفرض النظام على الفوضى، لأن العالم البشري يعيش في فوضى، وهذا لأن العالم يتميز بالتراجيديا. أي القلق والسؤال، والحيرة، والخوف من المجهول، وعندما يفسر العالم والطبيعة التفسير البشري، وهذا يؤدي إلى حتمية زوال تلك الفوضى، بالضرورة يحل مكانها النظام الذي يتحول إلى سيد على الإنسان.

حاجة الحقيقة إلى القوة ليست الحقيقة وحدها قوة مهما يقل عنها العقلانيون، عليها أن تجذب القوة إلى جانبها، وأن تنحاز إلى القوة.

في السعي إلى معرفة الحقيقة، نتشه يعترف مبدئيا بالتقسيم الثنائي للعالم، التقسيم المبني على أساس ما هو متعال فوق الذي هو معرفي والذهني وما هو محسوس أرضي.

يحاول نتشه إرجاع مبادئ العقل والمعرفة إلى أصلها الأول: وهو "الصيرورة الحيوية" فهو لا يعترف بمبدأ الهوية ويرى أنه متناقص وأيضا يرى بأن مبدأ الثالث المرفوع هو مجرد زيف. وذلك لأن الصيرورة عبارة عن تيار لا يمكن أن يتوقف لحظة واحدة ويمكن أن ينقطع.

"يرى نتشه أن المنطق لا ينبعث من إرادة الحقيقة" وأن إرادة المساواة في المنطق تعبر عن إرادة القوة. أما عن مفهوم الجوهر فيرى أنه نتيجة لمفهوم الهوية وليس العكس. ونحن إذا تخلينا عن الذات كشرط للجوهر، فإنه يختفي ويتلاشى، ويمكننا بذلك اعتبار إرادة الذات إرادة تحقيق للقوة في كل الموجودات، ونتيجة لإرادة الحقيقة."[1]

2-إرادة القوة وليس إرادة الحياة:

تبدو لنا أن فكرة إرادة القوة تتجلى في انتصار القوي على الضعيف لكنه في الحقيقة مبدأ سيكولوجي وهو يعتبر محرك أساسي للسلوك البشري. وذلك لأن كل موجود يسعى ويعمل إلى أن يمد نطاق عمله وتأثيره لتدعيم نفسه وتقوية ذاته ولحمايتها.

1صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نتشة، 163.

ويقول نتشه **"لقد تيقنت من وجود إرادة القوة في كل حي ورأيت الخاضعين أنفسهم يطمحون إلى السيادة. لأن في إرادة الخاضع مبدأ سيادة القوي على الضعيف، وتلك هي اللذة الوحيدة الباقية لها فلا تتخلى عنها، إنها بأسرها نضال فويل لكل حي يريد أن يعيش دون نضال".**[1]

وهذا يعني أن كل الكائنات الحية يحركها محرك أساسي وهو إرادة القوة، وبدون هذه القوة لا يمكن للكائن الحي أن يستمر في الحياة سواء كان ضعيفا أو كان قويا.

وهذا ما أكده "رانتلين" ويقول "إن نيتشة لم يخطئ البتة بصبغته: ألسنا نشاهد إرادة للقوة حتى في الهيولى؟ أن مجال فعلها غير محدود حقا، فهي تتغلغل في الطبيعة بأسرها، منذ الجزيئات البدائية حتى الكائنات الحية العليا، بل تتغلغل في الوجود الاجتماعي نفسه".[2]

ورنتلين يتفق مع نيتشه وقوله بإرادة القوة مثل مكون أساسي للكائنات الحية، وفي نفس الوقت يريد أن ينقص من قسوة الصيغة النشوية، وذلك باستبدالها بعبارة أخرى وهي "إرادة الكمال بدلا من "إرادة القوة".

نيتشه وجه أعنف نقد "لشوبنها ور" في تصوره للعالم كإرادة وأن جوهر الوجود كله هو الإرادة، أي أن شوبنها ور يرى بأن الإرادة هي الحياة، لأنها هي التي تدفع الإنسان دائما وتحركه وتنشر فيه رغبات متجددة وباستمرار وهذا ما أكده شوبنها ور بقوله: **"إن إرادة الحياة دافع أعمى غامض تتعذر معرفته كما أنه يظهر في الطبيعة بأسرها، وعلى الفيزياء والكيمياء والتنقيب عن القوى الأصلية التي تعمل من خلالها إرادة الحياة. والتعرف على قوانينها الأصلية. كما يرى أن طبيعة الإرادة الجوهرية تفتقر إلى الغاية أو الهدف، فهي نزاع لا يقف عند نهاية ما، وهذا النزاع هو بمثابة النواة أو الشيء في ذاته في تكوين الأشياء، وهذا النزاع عندما يصل إلى منطقة الشعور يسمى بالإرادة".**[3]

انتقد نيتشه فكرة "إرادة الحياة عند شوبنها ور بقوله: "ما عثر على الحقيقة من قال بإرادة الحياة. لأن مثل هذه الإرادة لا وجود لها أو ليس للعدم إرادة. كما أن المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة، ولا إرادة إلا حيث تتجلى الحياة، ومع هذا فإن ما أدعو إليه أن هو إلا "إرادة القوة" لا "إرادة الحياة"

---

[1] فريدريك نيتشه هكذا تكلم زراد يشت، ص97.

[2] ستيبان أودويف. على دروب زراد يشت، تر فؤاد أيوب، دار دمشق، لبنان، ط1، 1983.ص 281

[3] صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ، ص273.

إن هناك أمورا كثيرة يراها الحي أرفع من الحياة نفسها، وما كان ليرى أشياء أفضل من الحياة، لو لم تكن هنالك إرادة القوة".[1]

إن نيتشه يرى بأن الحياة موجودة أصلا ولهذا ليس من الضروري أن نشغل أنفسنا بالبحث عنها، بل يجب العمل على تحقيق الحياة الأفضل وإثبات وجودها. وذلك بالنظر إلى ما هو أرفع من الحياة نفسها من خلال إرادة القوة وذلك تحقيق الانتصار على الذات وعلى الآخرين.

"يرى شوبنها ور أن الحياة في أصلها ألم وحرمان، وكل سعادة سيعقبها شر في الغالب. "حاول نيتشه أن يتغلب على النزعة التشاؤمية لدى شوبنها ور بواسطة المفهوم* الديونوزيوسي، فهو يريد أن يوجب قيمة الحياة وأن يقول نعم بدلا من لا التي قالها شوبنهاور تحت تأثير القيم المسحية. فلم يكن شوبنها ور قويا بدرجة تسمح له بأن يقول نعم جديدة، فالإرادة هي إرادة القوة وإرادة الغلبة والانتصار وتصبح الحياة من خلال هذه الانتصارات أكثر قوة، بل وتحقق دوما مزيدا من القوة "لأن الحياة مجرد حالة خاصة الإرادة القوة".[2]

استعمل نيتشه المفهوم الديونيوزيوسي. وذلك من أجل إعطاء للحياة قيمة إيجابية وهذا من خلال الانفتاح على الحياة وتقبلها بكل ما فيها من صعوبات ومواجهات بالإرادة والمقصود هنا بهذه الإرادة هي إرادة القوة، لأنها هي التي تعطي للحياة معناها وشكلها فهي التي تعطي للفرد القدرة على مسايرة الصيرورة والتناقض والنزاع وبهذا يتم التغلب على النزعة التشاؤمية لدى شوبنها ور.

فإرادة القوة هي إرادة إقبال على الحياة وقبولها والتحكم فيها.

3-إرادة القوة باعتبارها أخلاقا في المجتمع وللفرد:

أ-المجتمع:

إن الإنسان مدني بطبعه، فهو لا يستطيع العيش وحيدا دون التواصل مع الأفراد الآخرين، فهو دائما بحاجة للجماعة.

---

[1] المرجع السابق، ص274.

* الديونيوزيوسي عند نتشة هي الدافع إلى الوحدة، والرغبة في الوصول إلى ما وراء الشخصية، وما وراء المجتمع اليومي والحقيقة اليومية عبر هاوية الزوال. كما تعني فيضانا انفعاليا، أنظر إلى محاولة جديدة لقراءة نتشة، ص158.

[2] المرجع نفسه، ص275.

حيث يري نيتشة " انه تم ابتكار الجماعات والمجتمعات تعلمنا الشيء الكثير، وبصدق أكبر عن طبيعة الإنسان أكثر مما يعلمنا الفرد، الذي يحول ضعفه الشديد دون امتلاكه شجاعة تلبية رغباته ودراسة المجتمع ثمينة جدا، نظرا لكون الإنسان كمجتمع أكثر سذاجة منه كفرد، وما نظر للمجتمع يوما إلى الفضيلة إلا باعتبارها وسيلة لبلوغ القوة، والسلطة والنظام".[1]

فالمجتمع هو مجموعة الأفراد التي تعيش في مكان محدد تربط بينهم علاقات متعددة ثقافية وحضارية واقتصادية. حيث يسعى كل فرد في المجتمع إلى تحقيق المصالح والاحتياجات المشتركة بشكل تعاوني. وذلك لأن أهم ما يميز المجتمع هو وجود بنية اجتماعية التي تتضمن عدة نواحي أهمها الحكم والسيطرة والمكانة الاجتماعية ويرى نيتشه أن إرادة القوة تتجلى أيضا في الدولة بشكل واضح. حيث يقول "**والدولة اللاأخلاقية المنظمة في الداخل تتخذ شكل الشرطة والقانون الجنائي والطائفة والتجارة والعائلة وفي الخارج تظهر كإرادة للقوة**".[2]

فالدولة هي عبارة عن مظهر من مظاهر إرادة القوة.

ب–الفرد:

تعتبر إرادة القوة شكل من أشكال إحساس الفرد بقيمته ولقد جاءت في هذه الفكرة وجهات نظر متعددة وهي كالتالي:

وجهة النظر الأولى: "ترى أن مشاعر الرحمة والتضامن هي تلك الدرجة الدنيا المهيأة لمرحلة لم يصبح فيها بعد ممكنا الإحساس بالقيمة الشخصية وكذلك التقييم الشامل".[3]

وجهة النظر الثانية: "ترى أن الإحساس بالقيمة الجمعية الذي تم الدفع به إلى علو معين. وكبرياء المسافة التي تفرق بين الناس في هذه الحياة، والشعور بعدم المساواة والنفور من الوسط، والحقوق المتساوية والمصلحة، هي مدرسة التوجه نحو الأحاسيس الفردية وخاصة بكونها تجبر الفرد على تمثيل كبرياء

[1] فريدريك نيتشه، إرادة القوة، ص260.

[2] ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] المصدر نفسه، ص265.

الجماعة، وآنذاك يكون عليه أن يتكلم ويفعل وهو يشعر بقيمته شعورا بلغ، وذلك لكونه يجسد الجماعة نفس الشيء يحدث حين يعتبر الفرد نفسه هو أداة المعبودة والمناطق باسمه".[1]

إن الحياة باعتباره صيرورة من الأحداث المختلفة والتي لا تنقطع أبدا منهي بمثابة مدرسة للفرد يتعلم فيها كل يوم أشياء جديدة تعطيه الإحساس بقيمته وذلك لأنه يتمتع بالسيادة والقوة.

وجهة النظر الثالثة: " تستغله قوى ترى أن أشكال نكران الذات هذه تعطي أهمية كبيرة جدا للفرد. وذلك حين أعلى."[2]

وذلك لأن الفرد حتى وإن كان عبدا لسيد أقوى منه، لا يفقد أهميته لأنه لولا وجود العبد لما وجد السيد أصلا.

وجهة النظر الرابعة: "ترى أن مسؤولية الفرد وإن كان عن الجماعة ترسخ في ذهنه رؤية واسعة، وتمكنه من امتلاك يد صارمة ومرعبة من التفكير والتأمل من رباطة الجأش والرفعة".[3]

ونجد ان كل وجهات النظر هذه تعطي الأولوية للفر د في المجتمع وتشجع على نشر الأنانية وأيضا

يمكن القول في الأخير أن الأنانيات الجمعية هي القائدة الأساسية التي تهيئ للسيادة الفردية، وطبقة النبلاء هي التي تبني هذه القاعدة.

[1] المصدر السابق ص 266.

[2] محمد اندلسي نتشة وسياسة الفلسفة، ص266.

[3] المرجع نفسه ، ص266.

المبحث الثالث فكرة العلو:

الإنسان الأعلى:

إن نيتشه ينطلق من فكرة الإنسان الأعلى من نقد للمثال العليا التي تمجدها المسيحية ورجال الدين: وذلك لأنه كان شائعا إن كل من يقتدي بالأخلاق المسيحية ويعمل على تحقيق العدالة، عليه بكبت غرائزه وقتلها ومحو ذاته، ويحسب نفسه لا شيء وهو دائما مشغول بطاعة مثاله الأعلى، وبذلك يخلق لنفسه منطلقا غير طبيعي،

حيث يقول نيتشه: "**لقد دخل زارد يشت في الوحدة لكي يحرر نفسه من الخنوع حيث ينحني الناس أما فضائلهم. ها هو أولا يذهب إلى أولئك الناس بعد أن تعلم احتقار الناس الفضائل التي تلجم الحياة، ولا تريد أن تضع نفسها في خدمتها، ها هو يحرك نفسه بكل يسر كأنه راقص. لماذا؟ لأنه لا يتبع إلا ذاته وإرادتها ولا يقيم وزنا للحدود التي رسمتها له الفضائل. لم يعد الإيمان حملا ثقيلا فوق ظهره. كما كان الأمر في تلك الأوقات التي حيل بينه وبين أن يتبع ذاته وحدها** ".[1]

وهذا لأنه في الحقيقة حتى المثل العليا التي يمجدها الدين، هي من صنع الإنسان حتى وان ادعوا بأنها وحي من الله، وذلك لان رجال الدين والأخلاقيون هم الذين اخترعوا الفضائل، وحتى وان كانت وحي من الله فهم الذين أولوها حسب حاجاتهم ومصالحهم الشخصية، وبالتالي فهي صادرة من غرائزهم الطبيعية ويهمون الناس بأنها صادرة من المثال الأعلى ويطالبونهم بالتقيد بها، وذلك من اجل إخضاعهم لا غير.

زراديشت تنبأ بظهور الإنسان في وسط الجماهير ويبرر ذلك بقوله:" **إنني آت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان إلا كائن يجب نفوقه، فماذا أعددتم للتفوق عليه؟ إن كلا من الكائنات اوجد من نفسه شيئا يفوقه، وانتم تريدون أن تكونوا جزرا يصد الموجة الكبرى في مدها، بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدلا من اندفاعكم للتفوق على الإنسان وهل القرد من الإنسان إلا سخريته وعاره ,؟ لقد أتيتكم بنبأ الإنسان المتفوق انه من الأرض كالمعنى من المبنى، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الإنسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحا لها.**"[2]

---

[1] نقلا عن، رودولف شتاينر نيتشه مكافحا ضد عصره، ص 68

[2] نقلا عن، صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، ص192

إن زراديشت يعتبر أول من تنبأ بظهور الإنسان الأعلى واخذ نيتشه عنه هذه الفكرة ونجد زراديشت يرى أن الإنسان ما هو إلا كائن يجب التغلب والتفوق عليه للوصول إلى مرحلة الإنسان الأعلى فهو عبارة عن مجرد مرحلة، فيقول بمثل ما قالت به النظرية الداروينية، لأنه يعتبر القرد مرحلة أولى للإنسان ثم جاءت مرحلة الإنسان ثم بعدها تأتي مرحلة الإنسان الأعلى، فهو يرفض ان يكون الانسان ضعيف ومنحط : فهو يريد إيقاظ الإنسانية ودفعها للعمل على التحرر، لكي ترتفع عن حالة الحيوان التي وصلت إليها بسبب تبنيها الأخلاق المسيحية في هذه المرحلة شبهة الإنسان بالقرد ولذلك وجب على الإنسان أن ينظر إلى الأعلى ويعمل على التفوق على الإنسان الأعلى بدلا من النظر إلى الأسفل فيصير مجرد قردا .

"وتعتبر فكرة الإنسان الأعلى عن الدعوة إلى تجاوز الماهية الثابتة وحشد القوي الخالقة للإنسان حتى يعلو بها على ذاته دوما، كما تعبر فكرة العود الأبدي عن رغبة الإنسان في السيطرة علي الزمان، فحين يعود كل ما مضي عددا لا متناهيا من المرات، يستوي عند النفس الماضي والمستقبل، وتتحرر النفس من قيدي الماضي بإحالته إلى المستقبل، أما فكرة موت الإله فيفسرها هايدجر في وجهها السلبي، ويري أنها لا تنصب على الإله المسيحي، ولا آلهة الأديان، بل المقصود بها هو عالم ما فوق المحسوس.[1]

إن مفهوم الإنسان الأعلى عند نيتشه مرتبط بفكرتين أساسيتين وهما: العود الأبدي وموت الإله، فالإنسان الأعلى هو الوحيد الذي يملك القدرة على إثبات العود الأبدي، وهو الذي يمر بتجربة العود الأبدي من خلال وجوده الداخلي الخاص الذي يعبر عن إمكانية والتي لا يمكن أن تظهر إلا بموت الإله، وهدف الإنسان الأعلى هو الإنسان والإنسانية، وكثر المخلوقات الوهية.

في المرحلة التي أعلن فيها زرا ديشت موت الإله، سادت العديمة في العالم لذلك وجب تعويض الإله بفكرة أخرى وهي الإنسان الأعلى، وأراد زراديشت أن يضع الإنسان الأعلى محل الإله، وعمل على نشر فكرته بين الجماهير.

وهذا ما يبرر قوله التالي:" **فحينما يعلن زراديشت عن ترقب ظهور الإنسان الأعلى إنما يتحدث عن الظروف الصحية التي تهيئ ظهوره، وكذا الرحم الذي يحتضنه، مع هذه الظروف يربط زراديشت ظهوره بفكرة موت الإله لأنه ينتفي وجود أحدهما بوجود الأخر، وهذه اللحظة هي ما يسميها زراديشت**

[1] المرجع السابق، ص 48.

بالعديمة الكاملة، فالإعلان عن ظهور الإنسان الأعلى يعني في المقابل موت الإله فإذا انتفت هذه الفكرة في نفوس الجماهير كان ذلك ممهدا لفكرة ظهور الإنسان الأعلى"[1]

فكرة موت الإله وحلول محلة الإنسان الأعلى التي تنبأ بها زراد يشت تبناها نيتشه وقال بها أيضا، وذاك من خلال نقده للدين المسيحي وإعلانه عن موت الإله المسيحي، وإقراره بحلول العدمية، بتأكيده على حتمية ظهور الإنسان الأعلى، وذلك من خلال إرادة القوة.

من هو السوبرمان؟ لقد رأى زراد يشت بان السوبرمان يكون حتميا، وإنما هو بالأحرى تحد للروح البشرية. والواقع أن السوبرمان قد لا يتحقق أبدا إلا أن نيتشه يصر علينا إلزاما أن نكافح نحو هذا الواقع.

حيث يقول نيتشه:" إنني أعلمك أيها السوبرمان إن الإنسان هو مرحلة لابد من التغلب عليها، فماذا فعلت لكي تتغلب عليه "[2]

يرى نيتشه أن الإنسان هو مجرد محلة يمر بها الإنسان للوصول إلى مرحلة الإنسان الأعلى والسوبرمان **حيث يقول:" ما الإنسان إلا حبل مشدود بين الحيوان السوبرمان، حبل فوق هاوية، خطر من عبور الهاوية، وخطر سلوك هذا الطريق، وخطر الالتفات إلى الوراء، إننا إذا خلفنا الإنسانية وراءنا في هذه الحالة وحدها نستطيع أن نؤمن بالسوبرمان".**[3]

"ربط نيتشه بين السوبرمان وبين الروح النبيلة التي تعيش وتريد ضد عامة الناس الذين يطلبون اقل من الحياة، لقد احتقر زراديشت الإنسان العادي الذي يجعل كل شيء صغيرا لان جنسه ضئيل في ضآلة البرغوث ". [4]

الأنا النبيلة "إن الأنانية تنتمي إلى جوهر النفس النبيلة، واقتصر بها ذاك الاعتقاد الراسخ بان كائنا مثلنا يجب أن تخضع له بطبيعة الحال كائنات أخرى، وتضحي بأنفسها لأجله، وتقبل النفس النبيلة واقعة أنا نيتها هذه من دون طرح أي علامة استفهام، وكذلك من دون إحساس بالقسوة والإكراه

[1] الدراجي زروخي، المذاهب الفلسفية الكبرى،دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، ط،20151 ، ص.182

[2] لورانس جين كيتي شين، أقدم لك نيتشه، ص83

[3] المرجع نفسه، ص 86.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والتعسف، بل تقبلها بالأحرى بوصفها شيئا يقوم على قانون الأشياء الأصلي على الأرجح، وهي أن يبحث عن اسم لها قالت: " إنها العدالة بعينها "[1]

إن الإنسان الأعلى أناني بطبعه لأنه قوي وحر بذاته وليس بحاجة الآخرين، فهو يحتقرهم ويستعبدهم، ويجعل منهم كائنات خاضعة له.

وفي علاقة بأنداده فهي علاقة احترام متبادل فهم متساوون في الحقوق والواجبات، والإنسان الأعلى يحقق ذاته من خلال علاقته بأنداده، وفي هذا الصدد يقول نيتشه:" **اما مفهوم الرحمة فليس له بين الأنداد معنى ولا سندا، ربما هناك طريقة لطيفة لتقبل هبات تهطل من خالق، ولارتشافها بعطش قطرة قطرة، غير أن النفس النبيلة ليست ماهرة في هذا الفن وهذا المسلك، فأنا نيتها تحول دون ذلك، وهي على العموم لا تحب التطلع إلى الأعلى بل تفضل إما النظر إلى الإمام أفقيا بترفق، أو إلى الأسفل تعلم أنها تقيم في الأعلى "**[2]

لا وجود لمفهوم الرحمة عند الإنسان النبيل لأنه يتصف بالإنسانية والقسوة، ويعتبر صفة الرحمة من صفات الإنسان الضعيف، والرحمة تفقد الإنسان الأعلى علوه، وبذلك يصبح من الطبقة الثانية أي طبقة العبيد.

القيم الوحيدة التي يلتزم بها الإنسان الأعلى، السوبرمان، هي القيم التي تعلي من قيمة الإنسان والحياة معا، قيم جديدة تجعل الإنسان قوي خلاق وسعيد حر، قادرا على تشكيل مستقبله

يقول نيتشه: "أما الاعتقاد بالإنسان لا يصبح كاملا إلا إذا وضع نفسه في خدمة أهداف عليا " فهرطقة يجب القضاء عليها، حسبما يرى نيتشه، فالمرء عليه أن يعرف نفسه ولا يتزحزح عن وعيه الأكيد بأنه هو الذي خلق المثل الأعلى من اجل تأكيد ذاته وصيانتها، إذا أدركنا قوانين الطبيعة علمنا أن الحياة أكثر صحة وأفضل من السعي خلف المثل التي يقال عنها زورا بأنها لم تنطلق من الواقع الفعلي.[3]

[1] نيتشه، ما وراء الخير والشر، ص 259.

[2] المصدر نفسه ص 259-260.

[3] رودولف شتاينر، نيتشه مكافحا ضد عصره، ص68.

نيتشه يمجد الإنسان الذي ينطلق من خدمة ذاته، فهو يحذو حذو معلمه زراد يشت، ويجب أن تكون فضائل الإنسان نابعة من ذاته، وهو يحتقر أولئك الذين يبحثون عن الفضائل خارج ذو اتهم ويمجدونها أكثر من أنفسهم، وهذا ما يعلنه نيتشه على لسان رفيق دربه زراد يشت **حيث يقول:" الذي هو الفرد الكلي الاستقلال والذي لا يمكنه أن يعيش إلا انطلاقا من طبيعته ذاتها لأنه يرى في نظام حياته المتطابق مع جوهره هدفه الشخصي. هذا هو الذي يمثل بالنسبة إلى نيتشه الإنسان الأعلى وهو نقيض الإنسان الذي يعتقد بان الحياة قد أعطيت له كي يضع نفسه في خدمة أهداف لا تمت إليه بصلة. زارد يشت يعلم الإنسان الأعلى، وهذا يعني انه يعلم الإنسان الأعلى كي يكيف حياته حسب إرادة قوانين الطبيعة ".**[1]

استبعاد بعض المفاهيم الخاطئ عن فكرة الإنسان الأعلى بواسطة عملية النفي

أ-الإنسان الأعلى ليس هو الوحش الأشقر :

إن الإنسان الأعلى ليس هو الوحش الأشقر بل هو إنسان مفكر حيث يري نيتشه:" ليس الإنسان الأعلى هو الوحش الأشقر الذي روجت له النازية، لان ذلك الأخير يظل تابعا سعيدا إلى الأبد أما الإنسان الأعلى فمكانه في الأمام، وهو لا يعبر عن توقف حركة النشاط، وإنما هو بداية نشاط لا ينتهي، وعلى ذلك نلاحظ إن الإنسان الأعلى ليس هو الوحش الأشقر، ولكنه الإنسان الذي تطور ذهنيا وفسيولوجيا إلى حد بعيد، الإنسان الذي بلغ درجة عالية من التحضر، وهو قادر على كبح جماح نفسه، يحترم ذاته انه إنسان التسامح لا عن ضعف، وإنما عن قوة، وليس ممنوع عنه سوى الضعف كرذيلة أو كفضيلة".[2]

إن الإنسان الأعلى إنسان متطور عقليا وذهنيا وفيزيولوجيا، وبالتالي ليس هو الوحش الأشقر، فالإنسان الأعلى إنسان متحضر بالدرجة الأولي، ولا يمنع عنه أي شيء، ماعدا الضعف، منع عمه لأنه ينقص من قوة الانسان الأعلى، فالضعف يخرج الانسان من دائرة الانسان الأعلى.

[1] المرجع السابق، الصفحة السابقة

[2] صفا، عبد السلام على جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه ص195

ب. الإنسان الأعلى ليس هو الإنسان الأخير ولا إنسان القطيع ولا الإنسان المتوسط.

الإنسان الأعلى ليس هو الإنسان الأخير ولا إنسان القطيع ولا الإنسان المتوسط إن نيتشه ينفى أن يكون الإنسان الأعلى واحدا من هذه الأنواع من الإنسان.

حيث ويقول زراد يتشت:" **لقد قاد القطيع: من فتشيئ فقدتاه. ومن انعزل فما امن العثار ويقول زارد يشت: "من لا قبل له بحكم نفسه وجبت الطاعة عليه، ويضيف في موضوع آخر: "كل إنسان تعجزون عن تعليمه الطيران علموه على الأقل أن يسرع بالسقوط ويوضح زردايشت الأمر عندما يعلن "إنني ما جئت إلا لأخلص خرافا عديدة من القطيع وسوف يتمرد الشعب والقطيع عليا**".[1]

يرى نيتشه إن إنسان القطيع له علاقة بالأخلاق التقليدية، ولذلك لا يمكن أن يكون الإنسان الأعلى نفسه هو إنسان القطيع، إذ يعتبر التحرر من الأخلاق التقليدية، بداية تشكل الإنسان الأعلى الذي في قدرته خلق قيمه بنفسه فهوا يعمل لذاته.

-نيتشه يقر بان الإنسان الأعلى ليس الإنسان المتوسط، حيث يرى :"بأن هناك نوعين من المريدين والمتابعين غير المرغوب فيهما، وأحدهما لا يمكن أن يقول لا والأخر يقف موقفا وسطا بين كل شيء الأول يعاني كثيرا لان طريقته في التفكير تتطلب روحا شجاعة، والأخر يختار الوسط في كل شيء وهو يمثل التوسط في كل الأمور ويقول أود أن يكون لأعدائي مثل هذا المريد، ويقول ضد نزعة التوسط هذه:" إن الفيض والغزارة وتجاوز الحد يمثلون جميعا الماء الذي تحب النفس أن تسبح فيه."[2]

إن الإنسان الأعلى ليس الإنسان المتوسط فهو حر ولا يختار التوسط في الأمور بل يختار العلو فهو ضد التوسط لأنه أعلى منه مرتبة، فكيف ينزل من نفسه إلى مرتبة التوسط.

ـ نيتشه يحتقر الإنسان الأخير ويقول عنه: "**سأخاطبكم عن أحقر الكائنات، عن الإنسان الأخير، ويل لنا، لقد اقتربت الأزمنة التي لن يفوق الإنسان سهام شوقه إذ تخونه قوسه وترتخي أوتارها، لقد اقترب زمان الإنسان الحقير، ستصغر الأرض في ذلك الزمان، فيطوف على سطحها الرجل الأخير الذي يحول**

[1] المرجع السابق ص 195.

[2] المرجع نفسه، ص 169.

المدينة كل ما يدور به، ان سلالة هذا الإنسان لا تباد فهي أشبه ما تكون بالبراغيث وهو أطول البشر عمرا".[1]

إن نيتشه يشعر بالاحتقار نحو الإنسان الأخير لان طبيعته ثابتة لا تتغير، وزمان الإنسان الحقير هو زمان تقتل فيه روح الإبداع، ويصبح الإنسان مقيدا وضعيفا لا يستطيع رمي سهام رغبته من بعد خلف الحدود الإنسان، فالإنسان الأخير لا يستطيع العلو لأنه ليس حرا.

ج–الإنسان الأعلى لا يتقيد بالحدود الأخلاقية الموروثة للخير والشر:

يرى زارد يشت ونيتشه أن الإنسان الأعلى ليس مرتبط بالحدود الأخلاقية الموروثة للخير والشر ومن منظور نيتشه: "الإنسان الأعلى هو الذي يجد المثل الأخلاقي الأعلى عند نيتشه، فليس إنسانا طيبا " يخضع للقيم الأخلاقية المعترف بها، ويحاول تحقيق الخير والشر، بل هو إنسان يسعى للمزيد من الحيوية في كل شيء، كما انه يعلوا على الخير والشر جميعا."[2]

– إن الإنسان الأعلى غير خاضع لمعايير الخير والشر لأنه هو من يخلقها. وبالتالي هو لا يحاول تحقيقها لأنه يخرج نفسه من المجال الخاضع لهذه القيم، حيث يقول نيتشه: "ويقتضي من الإنسان ألا يظل متعلقا بشخص ما لان كل شخص سجن ولا يستمر متعلقا بوطن معين، دولاباي نوع من الشفقة أو العطف ولا بفضائلهما، ولا يكون ضحية لأي جزئية من جزئياتها بوصفها كلا إن الإنسان في الأخلاق الجيدة الإنسان الممتاز فوق كل تقويم، وكل قانون وكل ما يعتقده الناس عامة وهو لا يعنيه سواء قال الناس عن هذا الشيء أنه خيرا أو قالوا عنه انه شرا، لان مهمته الرئيسية أن يكون خالقا للقيم .

–إن الإنسان الأعلى يخلق القيم حسب ما يراه هو فما يرى انه خيرا فهو خير، وما يراه شرا فهو شر، ولا يهتم بما يقوله الناس فهم كائنات عليهم الطاعة فقط دون تقديم أي حكم عن هذه القيم.

وفي الأخير يمكن ان نستنتج أن نيتشه يركز في فلسفته على خلق الإنسان الأعلى, أي الوصول بالإنسان عن طريق الصراع, والتطور الذاتي الصاعد, وهو يطبق هنا مذهب التطوريين ,فيذهب إلى أن الكائنات بدأت من الخلية الواحدة , ثم تطورت إلى الأعلى, حتى وصلت في تطورها إلى الإنسان وقف

[1] المرجع السابق الصفحة السابقة.

[2] المرجع نفسه، ص 204.

عند حد معين ولم يكمل مسيرة الارتقاء ليصل إلى الأعلى منه, فكل الكائنات من أدناها قد أدت رسالتها في الترقي إلى الإنسان, وكان على الإنسان أن يفعل نفس الشيء, لكنه وقف في محله, وقد عوقته أوهامه الذاتية عن الدين, والأخلاق, والقيم, والإبقاء على الضعفاء, وهذه أفقدت المسيرة أهدافها, وعلى الإنسان أن يبدأ المسيرة من جديد, ولن يتم ذلك إلا بالقضاء على الدين والقيم, وإحياء الصراع, وتطبيق قانون" البقاء للأقوى" حتى يصل في النهاية إلى الإنسان السوبرمان .

خاتمة:

وما يمكن أن نستخلصه في الأخير هو أن فلسفة زراد يشت مجرد فكر اما نيتشه فقد جاء بفلسفة للانسقية وقد انتقل من المعقول الي اللامعقول.

إن نيتشه بهذه الفلسفة يجمد الذاتية وأخلاق المنفعة فليس بالضروري ما يراه السيد خيرا له هو خير للعبد.و نيتشه بهذا يحذو حذو ى الفلاسفة البرجماتيتين فهو يعطي أهمية كبيرة للإنسان حيث أصبح الانسان هو خالق لكل الحقيقة للقيم وفي هذه الفكرة تظهر المثالية بشكل واضح وأيضا نجد نوعا من الذاتية في فهمها للحقيقة.

ففي نظر نيتشه حفنة من القوة خير من كيس من الحق. وإن الضعفاء الذين يُسمون عدم الأمانة خيانة وعار، والقوة ظلم، يعبرون بذلك عن عجزهم وضعفهم وهوانهم. وإن من يريد الحياة يجب أن يسمح لرغباته بالانطلاق إلى أبعد مدى أما الأمانة والعدالة والوفاء فليست من أخلاق الرجال الأبطال، وإنما من أخلاق العبيد.

إن القوة هي الفضيلة الأساسية بنظر نيتشه، والضعف هو النقيصة الوحيدة، وإن الحكم الفصل في جميع الخلافات ومصائر الأمور هو القوة لا العدالة، ومن هنا تم رفض المسيحية لدى هؤلاء، لأنها كما هو معلن عنه ديانة الحب والسلام، وهي بنظر فلاسفة وسياسييّ القوة لا تصلح لتبرير القوة العسكرية، ومن هنا تم استبدال إله المسيحية بالسوبرمان " أو الإنسان الأعلى " إله نيتشه الجديد إن أقوى وأسمى إرادة للحياة لا تجد تعبيراً لها في الصراع البائس من أجل البقاء ولكن في إرادة الحرب، وإرادة القوة وإرادة السيادة.

وهذا ما تحاول أمريكا اليوم أن تفرضه على العالم.قد ماتت جميع الآلهة بنظر نيتشه وأتاحت الفرصة للإله الجديد السوبرمان أي الإنسان الأعلى. وأراد تدمير الأخلاق القديمة القائمة على المحبة والصدق والتواضع لتحل محلها أخلاق الإنسان الأعلى، الإنسان المتآله المتفرعن المتغطرس الذي لا يؤمن إلا بالقوة والبطش. ولذلك كان نيتشه شديد الإعجاب بنابليون الذي تسبب في قتل الملايين من الرجال " يا له من منظر رائع عندما قدم الملايين من الأوربيين أنفسهم لنابليون من أجل تحقيق أهدافه، لقد ضحوا بحياتهم عن طيب خاطر له، وراحوا يتغنون باسمه وهم يسقطون في ميدان المعركة .

"إن مقولة الإنسان الأسمي هي شكل من اشكال التمييز العنصري يغذي اسبباب الشقاوة والعداوة بين البشر، ذالك ان إعتقاد احدنا بانه في مرتبة أعلي واشرف، افضل من باقي الخلق، وذالك معناه انه احق بالحياة والوجود اكثر من سواه، ومال ذالك قسمة البشر الى سيد وعبد، او لي طيب وخبيث، ان شعورا نرجسيا كهذا يخلق التباقض و العداوة بين البشر، وبالإضافة الى التنافضه الصارخ مع المساواة واحترام كرامة الإنسان التي تنص عليها الشرائع العادلة." [1]

ففكرة الإ نسان الأعلى تزرع الفوضي في المجتمع واللاعدل وهي فكرة مثالية الى أبعد حد وهنا نجد التناقض لأن نيتشه يرفض المثالية التي جاء بها الدين المسيحي.

من خلال عرضنا للفكر الزراديشتي وتحديد أطره الزمنية والمكانية كما قد أعرجنا على محتوي هذا الفكر والذي وجدناه قد أثر إلى حد ما في الفلسفة المعاصرة خصوصا منها الفلسفة النيتشوية وبناء على هذا يسعنا تحديد أهم النقاط التي زرعها زراديشت في الأراضي النيتشوية وهي على التوالي.

فكرة العدمية وذلك من خلال قتله للإله ونقده للدين المسيحي والأخلاق المسيحية لأنها أخلاق تعبر عن الضعف والخضوع والخنوع وفكرة إرادة القوة التي أخذها أيضا نيتشه من زراديشت من أجل تجاوز العدمية التي سادت في المجتمع الأوربي وفكرة العلو التي تتجسد من خلال إرادة القوة حيث يصنع الإنسان لنفسه شخصية وبالتالي يحقق السيطرة و السطوة ويصبح إنسان أعلى وهذا ما يريد نيتشه إيصال الإنسان إليه لأن نيتشه يريد رد الإعتبار للإنسان وليس ابعاده عن الأخلاق وذلك نتيجة الحياة التي عاشها فهو ينقد الأخلاق التي تؤدي بالإنسان إلى الضعف والخضوع لأنه عانى من هذا الضعف .

"إن الخلاف دائم بين الحسية والعقلية، بين مذهب لايرى في الإنسان سوى أنه حيوان راق فيأخذ بأخلاق الوثنية القائمة على اعتبار القوة والمقسمة للبشر إلى قوي وضعيف، وبين مذهب يلحظ روحانية الإنسان قبل حيوانيته فيرسم له أخلاق العدالة والمحبة، فلم يأت نيتشه بشيء جديد من الوجهة الفلسفيه، وكل الجديد عنده ذلك الضجيج الذي يقال له أدب".[2]

[1] عبد الرزاق بالعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفه، ص 225.

[2] وسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص.412.

قائمة المصادر:

1. فريدريك نيتشه ، إرادة القوة، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011.
2. ـــــ ـــــ، أفول الأصنام، تر: حسان بورقية، ط1، إ فريقيا الشرق.
3. ـــــ ـــــ، الفجر، تر: محمد ناجي، افريقيا الشرق، الدر البيضاء، 2013.
4. ـــــ ـــــ ، أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسن قبيسيي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت.
5. ـــــ ـــــ ، عدو المسيح: تر: جورج ميخائيل ديب، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.
6. ـــــ ـــــ ، هكذا تكلم زراديشت، تر: فليكس فارس، مطبعة جريدة، البصيرة، 1938.

قائمة المراجع

1. جمشيد يوسفي، الزرادشتية، منشورات زين بيروت لبنان، ط1، 2012.
2. جيل دلوز، نيتشه، تر: أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1998.
3. حربي عباس عطيتو محمود، الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر1999.
4. رودولف شتاينر، نيتشه مكافحا ضد عصره، تر: حسن صقر، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا،1998.
5. زروخي الدراجي ، المذاهب الفلسفية الكبرى، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، 2015.
6. ستيبان أودويف. على دروب زراد يشت، تر فؤاد أيوب، ط1، دار دمشق، لبنان، 1983.
7. سعيد إسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، القاهرة، 1999.
8. صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، 2001.
9. عبد الرحمن بدوي، خلاصة الفكر الأوربي نيتشه، ط5، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975.
10. عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.
11. عبد الرزاق رحيو صلال الموحى، العبادات في الديانات القديمة، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، 2007.
12. فؤاد زكريا، نوابغ الفكر الغربي نيتشه، ط 2، دار المعارف، مصر.
13. فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت.

14. لورانس جين كيتي شين، أقدم لك نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.

15. محمد اندلسي، نيتشه وسياسة الفلسفة، دار توبقال للنشر، المغرب.

16. محمد سليمان حسن –تيارات الفلسفية الشرقية، لدار علاء الدين للنشر، دمشق، 1999.

17. محمد عبد الرحمان مرحبا المرجع في تاريخ الاخلاق، ط1، جروس برس طرابلس، لبنان، 1988.

18. هاني يحي نصري، دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. 2002.

19. ول وايل دبورا نت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء 2، من المجلد 1 ، بيروت.

20. ي دني، أصول الأخلاق، تر، إبراهيم رمزي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012.

21. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة،دار المعارف، القاهرة، ط5، ص.412.

المعاجم والموسوعات

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، الجزء الثاني، مادة العدمية، 1982، ص66-67.

قائمة الرسائل .

22. سعاد طيباوي، نيتشه والعدمية: العالم من التأمل الأنطولوجي الي التأويل الاكسيولوجي، مذكرة ماستر أكاديمي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2015.

الفصل الأول

الفكر الأخلاقي عند زراديشت

المبحث الأول: الأصول الزراديتشتية

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في الزراديتشية

المبحث الثالث: فضل الدين الزراديتشي في تهذيب الأخلاق

الفصل الثاني

الفكر الأخلاقي عند نيتشه

المبحث الأول: نقد الدين والأخلاق المسيحية

المبحث الثاني: أصل الأخلاق

المبحث الثالث: أخلاق السادة وأخلاق العبيد

الفصل الثالث

الأفكار الأساسية للزرادشتية والتي تأثر بها نيتشه

المبحث الأول: العدمية

المبحث الثاني: إرادة القوة

المبحث الثالث: فكرة العلو

مقدمة

خاتمة

فهرس المحتويات

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

إهداء .....

شكر .....

مقدمة .....ا-ب

الفصل الأول: الفكر الأخلاقي عند زارادیتشتية

المبحث الأول: الأصول الزراديتشتية 05

-الإطار التاريخي 05

-الإطار المكاني 05

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في الزراديتشية 09

-تربية فضائل المدينة 11

-الاستقامة 12

-العدالة 13

-التعاون 14

-العفة 14

-الاعتماد على الذات 15

-الإحسان 16

-الحث على التعلم 17

المبحث الثالث: فضل الدين الزراديتشي في تهذيب الأخلاق 18

الفصل الثاني: الفكر الأخلاقي عند نيتشه

المبحث الأول: نقد الدين والأخلاق المسيحية 25

المبحث الثاني: أصل الأخلاق 31

المبحث الثالث: أخلاق السادة وأخلاق العبيد 34

-أخلاق السادة 34

-أخلاق العبيد 37

الفصل الثالث: الأفكار الأساسية للزراديتشية والتي تأثر بها نيتشه

المبحث الأول: العدمية 44

المبحث الثاني: إرادة القوة 50

-إرادة القوة بوصفها معرفة 50

-إرادة القوة ليست هي الحياة 51

-إرادة القوة باعتبارها أخلاقا في مجتمع وللفرد 53

المبحث الثالث: فكرة العلو 56

-الإنسان الأعلى 56

الخاتمة 65

قائمة المصادر والمراجع 68

فهرس المحتويات 72